

السرد في (مذكرات شاهد للقرن) لمالك بن نبي
(مقارنة حاجية تداولية)

د. ذيب بن مقعد العصيمي
قسم اللغة العربية – كلية التربية
جامعة المجمعة



السرد في (مذكرات شاهد للقرن) لمالك بن نبي (مقارنة حجاجية تداولية)

د. ذيب بن مقعد العصيمي

قسم اللغة العربية - كلية التربية
جامعة المجمعة

تأريخ تقديم البحث: ١٤٤٤ / ٧ / ٢١ هـ - تأريخ قبول البحث: ١٤٤٤ / ٩ / ١ هـ

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث السرد في (مذكرات شاهد للقرن) وطاقته الحجاجية، من خلال آليته الخطائية، التي تتنوع تبعاً لتشكلات السرد في الحكاية، بدءاً من تحديد علاقة السرد بالحجاج لكونهما منغرسين في أعماق الخطاب، ثم يفيض في دراسة معالم السرد الحجاجية البارزة في المذكرات؛ فيتناول سرد الأحداث وبناء الثنائية فيها، واستراتيجية الاختيار، وسرد الأقوال، ويحدد دور الزمن السرد في الطاقة الحجاجية، سواء الزمن اللاحق للأحداث، أو المتزامن معها، أو الاستغراق الزمني باستراتيجياته المختلفة من: التلخيص الاستراحة، والقطع، ويقارب كل ذلك حجاجياً.

الكلمات المفتاحية: السرد ، الأحداث ، الحجاج ، الزمن ، الراوي .

Narration in (Memoirs of a Witness to the Century) by Malik bin Nabi (Argumentative-Pragmatic Approach)

Dr. Theeb bin Makad Al-Osaimi

Department of Arabic Language -College of Education
Majmaah university

Submission date: Raj.21, 1444 AH Acceptance date: Ram.9,1444 AH

Abstract:

This research deals with the narrative in (Memoirs of a Witness of the Century) and its argumentative energy, through its rhetorical mechanism, which varies according to the formations of the narrative in the story, starting with defining the relationship of the narration with argumentation because they are embedded in the depths of the discourse, and then it overflows into the study of the prominent argumentative narration features in the notes. It deals with the narration of events, the construction of dualities in them, the strategy of choice, the narration of sayings, and determines the role of narrative time in argumentative energy, whether the time following events, or simultaneous with them, or the time consuming with its various strategies of summarizing, resting and cutting, and approximating all this argumentatively.

key words: narration, events, argumentive, time, narrator.

المقدمة:

تتعدد آليات الحجاج داخل اللغة، ومن خلال السياق التخاطبي، وتؤدي دورها في عملية التأثير والإقناع. والخطاب السردى يمثل نوعية من الخطاب المتعدد الآليات والسياقات، التي تجعل منه موطنًا فريدًا لعملية التأثير تلك، ويستطيع الكاتب من خلال الحكاية أو الخطاب أن يصل إلى الطاقة الحجاجية التي يمكنها التأثير في المتلقي، وتوجيهه الوجهة التي يريدها صاحب الخطاب السردى، والمذكرات جزءًا من هذا الخطاب السردى المتنوع، ومع أن كاتب المذكرات مطالب بقدر كبير من الموضوعية والحياد فيما يذكر إلا أن عملية السرد وما يصاحبها من الزمن والوصف تجعله فنًا يتعانق فيه الواقع والخيال، ولحظة الوعي الكتابي وذاكرة الزمن المسترجعة؛ ومن هنا تكمن إشكالية البحث؛ فذلك التعانق النوعي بين الواقع والخيال، والتدافع بين الذاتية والموضوعية في كتابة المذكرات يجعلها موطنًا خصبًا للكتابة الأدبية، فكيف يتمكن الكاتب من الموازنة بين ذلك؟ وكيف يستطيع زرع الخيال في تربة الواقع؟ ومن ناحية القارئ هل له أن يسلم بما في المذكرات من أحداث وأقوال على أنها حياة واقعية تمت بكل التفاصيل أم أن الكاتب وهو يكتب المذكرات قد تلاعب بحياته وألبسها لباسًا غير لباسها الواقعي؟ كل ذلك من خلال آلية السرد الحجاجية المرنة في يد الكاتب؛ فالبحث في قدرة السرد الحجاجية بحث في تأثير الخطاب ونجاحه، ومن هنا جاء هذا البحث الذي يحاول تجلية دور السرد الحجاجي في مذكرات شاهد للقرن، وهي المذكرات التي يكتبها أديب ومفكر، تتصارع في ذهنه القدرة الأدبية الكتابية والفكر المستقل، الذي يحاول إنشاء منظومة من

الأفكار والقيم، التي يراها قادرة على حفظ الكيان، وتنمية السلوك؛ فاختيار هذه المذكرات جاء من كونها مذكرات تجمع بين الأدب والأيدلوجيا، أو بين قدرة القلم وقوة الفكر، وأخيراً فإن البحث في معالجته لكل ذلك يتوخى خطى المنهج التداولي الحجاجي، وقد قسم البحث إلى : مدخل وقسمين وخاتمة:

المدخل: وفيه توضيح لعلاقة السرد بالحجاج، من خلال ثنائية الحكاية والخطاب التي تمكن الكاتب من استغلال الخطاب في التأثير والإقناع في القارئ.
القسم الأول: سرد الأحداث والأقوال: وفيه يجلي البحث دور سرد الأحداث والأقوال في الطاقة الحجاجية التي يمثلها السرد، سواء من خلال بناء الأحداث على نوع من الثنائيات، أو الاختيار، وما تمثله الأحوال وحواريتها من طاقة حجاجية.

القسم الثاني: السرد والزمن: حيث يمثل الزمن لعبة الكاتب، التي يستطيع أن يمارسها في التأثير، فهناك الزمن اللاحق، والزمن المتزامن والحكاية، والاستغراق الزمني ودور ذلك كله في العملية الحجاجية.

الخاتمة: وفيها سرد لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.
وذيل البحث بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث في تجلية هذا الموضوع وإثرائه.

المدخل:

السرد والحجاج

يرتبط السرد بالفن القصصي، حيث يبرز من خلال صوت الراوي للحكاية الواقعية أو المتخيلة؛ فالسرد عند (جونات) "هو النشاط السردى الذي يخلعه وهو يروي الحكاية، ويصوغ الخطاب الناقل لها"^(١)، وهو يعد من مكونات الخطاب، فكما يذكر صاحب معجم السرديات فإنه "لا يمكن أن يتصور السرد منفصلاً عن الخطاب الذي يصوغه والحكاية التي ينسجها، وبهذا يندرج السرد في متصور ذي أركان ثلاثة يتشكل منها الخطاب القصصي هي: السرد والحكاية والخطاب"^(٢)، فلم يعد مفهوم السرد متوقفاً على سرد الحكاية التقليدية، وإنما يتعدى ذلك إلى أنواع أخرى تتضمن السرد بأشكال مختلفة"^(٣)، ومن هنا تبرز القيمة الحجاجية للسرد؛ لكونه جزءاً من مكونات الخطاب؛ فالسرد - كما تذكر بمعنى العيد- لا ينظر إلى قيام الحكاية فيه بمعزل عن الخطاب؛ لأن وصولها إلينا إنما عن طريق الخطاب؛ فالسرد يستوجب راوياً يروي الحكاية، كما

(١) معجم السرديات. إشراف: محمد القاضي. تأليف. محمد القاضي وآخرين. دار الفارابي -

لبنان. ط. الأولى ٢٠١٠ ص ٢٤٠.

(٢) السابق. الصفحة نفسها.

(٣) دليل الناقد الأدبي. د. ميجان الرويلي. د. سعد البازعي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء

- المغرب. ط. الخامسة ٢٠٠٧. ص ١٧٤.

يستوجب وجود قارئ يقرأ، وبذلك لا تعود الأهمية إلى مجموعة الأحداث، بل إلى كيفية يروي الراوي^(١).

وهذا التعانق بين مكونات الحكاية والخطاب، وتعدد الأصوات من الراوي والمروي له يمنح السرد " قيمة خطابية وتداولية؛ وبهذا يفسر اشتقاق (سرد) اصطلاح السرد بوصفه ازدواجية متعارض ووجداني، يدل على تعرف وحكي عارف، حيث يتمثل السرد فعلاً معرفياً يقدم الأحداث، ويبدع في الآن نفسه، ولهذا ربما تقدم الفصاحة ... الجزء الجميل من السرد بتموضع بعد الاستهلال ليقدم وظيفة حكي الأحداث المنوطة به للإعلام عبر انتقائية ضرورية، ويخضع حكم الجمهور لمصلحته لما يمنحه من وظيفة إقناعية"^(٢)؛ ذلك لأن السرد لا يقدم الأحداث والأقوال المسرودة في صورة مجردة من الغرض؛ بل يصنع بها قيمة حجاجية مكثفة الآليات، متنوعة الطرق، ومن هنا يمكننا القول بأن السرد يمتلك طاقة حجاجية مضاعفة من خلال تنوع تلك الآليات، إضافة إلى جانب عملية الإبداع اللغوي التي يمتلكها هو يخضع المشاهد والأقوال لخدمة التوجيه الذي يمارسه الخطاب السردية، ويؤكد الباحث محمد مسالتي هذا التأزر بقوله: " إذا كان السرد بوصفه نمطاً من أنماط الخطاب وليس مرحلة في ترتيبه، يقوم على حركة في الزمن ويرصد العلاقة بين الوقائع وتواليها والتحول في

(١) انظر: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي. د: يحيى العيد. دار الفارابي. بيروت -

لبنان. ط. الثانية ٢٠١٠. ص ٤٢.

(٢) معجم مصطلحات النقد الأدب المعاصر. فرنسي - عربي. . سعيد علوش. د. كيان أحمد

حازم يحيى. د. حسن الطالب. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت - لبنان. ط الأولى

٢٠١٩. ص ٤٢٣

خصائص الفاعلين، وكان الحجاج بوصفه نمطاً آخر من أنماط الخطاب، يسعى إلى إقناع المتلقي وإذعانه للدعوى، ويقوم على بنية قارة لا زمنية مثله مثل الوصف الذي يسعى إلى تحديد صفات الموضوع في الفضاء فإن هذين النمطين لا يوجدان منفصلين في النصوص^(١)، وهذا التعانق والتآزر بينهما يرتفع في النصوص التي تنحو منحى التأثير والإقناع، التي تمثل جزءاً من حياة المؤلف وفكره، وهذا ما نجد في المذكرات، فلا ريب أن كاتب المذكرات إنما ينقل إلى القارئ هذه السيرة نقلاً غير بريء، بمعنى ينقل تجربته ومواقفه تجاه الحياة والأحداث ممزوجة بفكره وميوله، فما يسرده ما هو إلا طوق من الحجاج ودفعة من التأثير والإقناع.

إن استراتيجية السرد في المذكرات تتخذ صورة أكثر ديناميكية وحيوية مما في الرواية أو الأفضوضة من خلال الربط بين مفهوم الفاعل اللغوي Actant بوصفه وحدة بنوية صغرى يقوم عليها، وبين الذاكرة الجمعية للنص التي تحضر في ذهن القارئ، وبالتالي فثمة علاقة تنشأ في أثناء عملية التأليف بين الحكاية أو القص والخطاب الذي له بنية خاصة^(٢)؛ لأن صاحب المذكرات هو من يقدم لنا تلك الأحداث، وتلك الشخصيات، وهذا هو الأهم لأن لكل أثر أدبي جانبين " فهو في آن واحد حكاية وخطاب . هو حكاية من حيث هو يصور حقيقة ما، وأحداثاً يجوز أن تقع وشخصيات تختلط مع شخصيات

(١) السرد والحجاج القراءات المتصارعة التنوع والمصدقية في التأويل. د: محمد عبد البشير مسالتي.

حوليات جامعة قلمة للغات والآداب. العدد ١٠. جوان ٢٠١٥. ص ٣٢٨.

(٢) انظر: دليل الناقد الأدبي. ص ١٧٥.

واقعية. وقد تأتينا تلك الحكاية في شكل شريط سينمائي أو رواية شفوية أو نص مكتوب، والأثر خطاب؛ إذ إن الحكاية يقدمها راوٍ لقارئ، وهنا لا نهتم بالأحداث المروية ولا بالشخصيات التي تقوم بها، ولكن الشأن للطريقة التي يجعلها الراوي ندرك بها تلك الأحداث والشخصيات ^(١)، وهذا الذي يجعل السمة الحجاجية بارزة في الخطاب السردية؛ لأنها تمثل قدرة الكاتب / الراوي على تقديم الأثر الأدبي المؤثر الذي يستميل القارئ؛ فالقارئ "حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضوراً عينياً أم استحضاراً ذهنياً. وهذا الشخص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركية الخطاب، بل يسهم في قدرة المرسل التنويعية، ويمنحه أفقاً لممارسة اختيار استراتيجية خطابه" ^(٢) لا سيما في كتابة المذكرات التي تكشف حياة الكاتب، وربما تعريه أمام القارئ.

السرد في مذكرات شاهد للقرن (مقاربة تداولية حجاجية)

إن مما يساعد على فهم الممارسة الأدبية الوقوف على عتباتها، ومحاولة البحث عن مفاتيح يتركها النص الأدبي للقارئ؛ ليتمكن من الدخول إليه بدرجة متقدمة من الفهم والإدراك، والعنوان يعد من أهم العتبات، لاسيما في

(١) تحليل النص السردية بين النظرية والتطبيق. د: محمد القاضي. مسكيلياني للنشر والتوزيع. تونس.

ظ. الثانية ٢٠٠٣. ص ٥٣.

(٢) استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية. د: عبد الهادي بن ظافر الشهري. دار كنوز المعرفة

للنشر والتوزيع. عمان - الأردن. ط. الثانية ٢٠١٥. ج ١. ص ٨٦.

الكتابة الأدبية لما يثيره من التطابق أو المفارقة^(١) للمحتوى فالعنوان "باعتباره قصداً للمرسل يؤسس أولاً : لعلاقة العنوان بخارجه، سواء كان هذا الخارج واقعاً اجتماعياً عاماً، أو سيكولوجياً، وثانياً : لعلاقة العنوان، ليس بالعمل فحسب، بل بمقاصد المرسل من عمله أيضاً، وهي مقاصد تتضمن صورة افتراضية للمستقبل على ضوءها - كاستجابة مفترضة - يتشكل العنوان لا كلغة، ولكن كخطاب"^(٢)، فاختيار المؤلف للعنوان ليس اعتباطاً، بل يهدف منه إلى تأسيس مدخل للمحتوى، ومن هنا يكون العنوان بمثابة الشفرة التي ينبغي للقارئ أن يجلها، ويكتشف أسرارها، وقد يكون العنوان مخادعاً، بمعنى أن يشتمل على نوع من المفارقة، أو نوع من المراوغة، كما أن العنوان يمتلك ميزة خاصة في الأثر الأدبي لأنه يشكل "الوسيط بين الجمالي الخاص والاجتماعي الخالص"^(٣)، فهو

(١) يتشعب مفهوم مصطلح (المفارقة)، وكما يذكر عبد الرحمن حبيب فإن إشكالية المصطلح لا تزال تلازمه " فإذا كان ما لا تاريخ له يمكن تعريفه على حد تعبير نيتشه؛ فإن مسألة إيجاد تعريف محدد يعد ضرباً من المجازفة لهذا المصطلح العتيق المراوغ". (فخاخ المفارقة والنموذج السقراطي. عبد الرحمن حبيب. ضمنة كتاب: أوراق فلسفية. مجموعة باحثين. تقديم. أ. د: سعد البازعي المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء - المغرب. ط. الأولى ٢٠١٢. ص ١٩). لكن الشايع هو " ربطها بملفوظ يصدح الحس المشترك بذهابه إلى معارضة الرأي القائم للقيمة. . . فهي تناقض ظاهري لا نلبث أن نتبين حقيقته " (معجم مصطلحات النقد الأدب المعاصر. ص ٤٦١).

(٢) العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي. د: محمد فكري الجزائر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٨. ص ٢١.

(٣) السابق. ص ١١٤.

يكشف جماليات النص القائمة أحياناً على الغموض والرمزية، قبل أن يكشف المحتوى الاجتماعي أو القصصي كما في فن المذكرات.

ومذكرات (شاهد للقرن) تأتي الشهادة للقرن وليس عليه، فهي مذكرات لا تحاكم الزمن، بل تنتصر له وتشهد له، وهذا الاختيار لهذه الصيغة يثير فضول القارئ، ويسلمه إلى العديد من التساؤلات، فهل العنوان على دلالة الظاهر؟ بمعنى أن اللام الجارة هنا تفيد الاختصاص^(١) بالشهادة، وكون القرن مشهوداً له، وتكون الدلالة حينئذ تقديم شهادة للقرن للأجيال التالية؟ وبذلك يمارس الخطاب نوعاً من السلطة على القارئ، وتوجيهه إلى الاعتراف بأفضلية القرن، الذي يكتب عنه مالك بن نبي، أم أن اللام بمعنى (على)^(٢)، والتقدير (شاهد على القرن) فيحمل المعنى نوعاً من المحاكمة، والإدانة لذلك العصر؟ بهذه الازدواجية في العنوان نستطيع القول إنه يحمل نوعاً من التضاد، أو تعدد القراءات المفتوحة أمام القارئ؛ فهو يدخل إلى المذكرات محملاً بهذا التنوع والاحتمالات المقترحة، ومن هنا يكون السرد موجهاً للقارئ الوجهة الصحيحة، من خلال دراسة طاقته الحجاجية التي ستكشف نوع الشهادة، أهى للقرن أم عليه .

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ) تحقيق د. مازن المبارك - محمد علي حمد الله. دار الفكر - دمشق. الطبعة: السادسة، ١٩٨٥ ص ٢٣٥.

(٢) انظر السابق. ص ٢٣٨.

وهذه الاستراتيجية الخطابية يستغلها الكاتب بداية من العتبة الأولى للنص الأدبي، فالقارئ يظل مشدوداً إلى متابعة السيرة ليكتشف اتجاهها من خلال مصاحبة دلالة العنوان المتنوعة.

والقرن الذي يعنيه الكاتب هو القرن العشرون، الذي كان مرحلة تحول كبير في العالم، لاسيما العالم الغربي، وبداية التأثير في العالم العربي والإسلامي، وهو يحمل في طياته الكثير من الأيدلوجيات والمفاهيم، والصراعات بين القديم وزمن التنوير، وهو صراع قام على مبادئ معينة لعل أهمها "أن كافة الأسئلة الحقيقية يمكن الإجابة عليها، والسؤال الذي لا يمكن الإجابة عليه ليس بسؤال" (١) بمعنى أن التساؤل لم يعد محجوباً؛ لأن ما توصل إليه العقل والعلم يمكن أن يوفر الإجابة، ولذا بدأت المفارقة بين الشهادة للقرن أو عليه؛ فالقرن العشرون يبحث "عن يقينيات ريادية قلما نلاحظها، يطارد البديهيات المغفلة، والتجارب التي يتقاسمها العالم كله من دون أن يفكر فيها أحد، الحقيقة في متناول اليد شرط النظر بطريقة أخرى، شرط الانتباه للمتروك جانباً. ويكفي تغيير المنظور تغييراً جذرياً بغية رؤية كنوز لا يرب فيها، تنبثق من قلب التجارب الأكثر عمومية" (٢)، فلم يعد النص يقدم كل شيء، بل تعامل القارئ معه، تفسيره له، علاقته الممتدة عبر العلوم هي التي تضمن له الإجابة والكشف.

(١) جذور الرومانتيكية. إيزايا برلين. نقله إلى العربية سعود السويدا. جداول. الكويت. ط. الأولى ٢٠١٢. ص ٥٩.

(٢) أساطين الفكر عشرون فيلسوفا صنعوا القرن العشرين. روجيه - بول دروا. ترجمة: علي نجيب إبراهيم. دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان. ٢٠١٢. ص ٢٥.

فإذا كان عنوان المذكرات يثير فينا كل ذلك، فينبغي النظر فيه من خلال تقنيات الخطاب المختلفة، ومنها دراسة السرد حججياً، وكيف يمكنه الكشف عن تساؤلات العنوان، التي تتعاقب وتساؤلات القرن العشرين.

القسم الأول: سرد الأحداث والأقوال:

يتجه السرد إلى نوعين من الممارسة في الخطاب أو الحكاية الأول: سرد الأحداث، والثاني: سرد الأقوال، وسرد الأحداث هو "السرد المحض الذي تكون فيه للراوي سلطة القول، وهو سرد مباين لقص الأقوال الذي هو أرقى شكل تتجسد فيه المحاكاة، بما هي تمثيل لكلام الشخصيات تتكلم دون وساطة الراوي"^(١)، فكيف برز السرد بنوعيه السابقين في المذكرات المدروسة؟

تبدأ المذكرات بسرد لحدث يثير الانتباه من حيث الراوي؛ ففي المقدمة يقوم الراوي / الكاتب بسرد حدث عن ذاته، ينطلق من مسجد قسنطينة، محددًا الزمن "وكنت قد عدت إلى الجزائر منذ ثلاثة أيام أو أربعة، وقد مضى على التحرر سنة كاملة"^(٢)، ويتابع سرد حدث الصلاة في المسجد بكل تفاصيله ليصل إلى ملح أحدهم وهو يضع "ربطة حسنة التغليف"^(٣)، وبعد الانتهاء من الصلاة يجد واضع الربطة قد غادر واختفى؛ لبيادر إلى الربطة ويفتحها ليجد عنوان (شاهد للقرن)، ثم يتابع القراءة وسرد حياته من خلال المذكرات، ويتضح

(١) معجم السرديات. ص ٣١٦.

(٢) مذكرات شاهد للقرن. مالك بن نبي. بإشراف ندوة مالك بن نبي. دار الفكر. دمشق. الطبعة

السادسة ٢٠٠٤. ص ١٣.

(٣) السابق. ص ١٤.

من خلال سرد الأحداث مجموعة من الاستراتيجيات الحجاجية التي تتخذ مسارات عدة:

١ - الأحداث وبناء الثنائيات: تتميز الثنائية أو التضاد بوجود الشيء وما يقابله، بهدف اتضاح أحدهما من خلال الآخر، ومن ثم بروز الخطاب قوة حجاجية مكتملة العناصر؛ لأن "علاقة المنافرة يمكن أن تساهم كآلية في نسج الخطاب"^(١)، لا سيما في ثنائية الأحداث؛ ففي هذه المذكرات^(٢) نجد الثنائية تبدأ بشكل متسلسل محكم البناء وهو ترابط "وظيفي أي أن الأفعال تتربط في ما بينها بعلاقات وظيفية تشكل قواعد مشتركة"^(٣)؛ فنحن أمام حدث يتعدد فيه الراوي قبل سرد الأحداث، حيث يضعنا المؤلف أمام راوٍ مزدوج؛ ليستمر التساؤل عن حقيقة الراوي، ولهذا ارتباط بالعنوان وازدواجيته؛ ليدفع القارئ إلى المذكرات وهو يتلمس فيها دلالات هذا التعدد، أو الثنائية التي تبدأ من العنوان ثم الراوي ثم الأحداث أو الأفعال في تسلسل تراتبي منطقي.

وإذا كان القارئ يجزم بمعرفة الكاتب/الراوي الحقيقي؛ فإن الخطاب هنا يضعنا أمام المفارقة والثنائية، وفي هذا طاقة حجاجية، لأن الحجاج قد "يرد

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي. المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء. ط. الأولى ١٩٩١. ص ١٣٢.

(٢) تتكون المذكرات في بنائها العام من ثنائية: الطفل والطالب. انظر: مذكرات شاهد للقرن. الورقة الثانية. وهي ثنائية تنسق مع المكون الخطابي لها، بل هي ثنائية المواجهة والتضاد بين مرحلة الطفولة بما فيها من براءة وتقبل، وبين مرحلة الشباب المفعمة بالعطاء والحيوية وتحقيق الذات.

(٣) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي. ص ٤٧.

متخفياً أو غير مباشر وقد يجيء سافراً أو مباشراً^(١)، وغير المباشر هو ما يمكننا تسميته بالبعد الحجاجي^(٢)، الذي يرد فيه الحجاج من خلال تقنيات لغوية يقدمها الخطاب؛ فالمذكرات هنا يواجهها الكاتب/صاحبها من خلال قراءة مستقلة؛ ليتيح لنفسه توجيه أحداثها، وتحميلها الطاقة الحجاجية التي يريد؛ فالراوي الأصلي ينفصل عن مذكراته ثم يقدمها له الراوي الوهمي الذي سجلها، ومن ثم فالكاتب/الراوي الأصلي هو الحاكم عليها المقوم لها؛ ليقدمها شاهداً للقرن أو عليه. وهذه تقنية حجاجية فالراوي الفعلي - كما يرى رولان بارت - لا يمكن أن يكون هو المؤلف؛ لأن الذي يتكلم (في السرد) ليس هو الكاتب في الواقع والحياة^(٣)، ومن هنا ينمو السرد للأحداث مشحوناً بهذه الثنائية في العنوان والراوي؛ فالسرد " بوصفه مجموعة من الأخبار يشكل إحدى التقنيات الحجاجية من خلال الحكمة السردية داخل النص"^(٤)، وتظل ثنائيات الأحداث مسيطرة منذ البداية؛ فمولد الكاتب كان "في عام ١٩٠٥م، أي في زمن كان فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي حياً من شهوده، والاتصال مع

(١) البعد الحجاجي في أقصوصة " القلعة " لجمال الغيطاني. د: محمد نجيب العمامي. ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته. إشراف. د: حافظ إسماعيل علوي. عالم الكتب الحديث. إربد - الأردن. ط. الأولى ٢٠١٠. ج ٢. ص ١٥٠.

(٢) ينظر: السابق. ص ١٥١.

(٣) الخطاب النقدي عند رولان بارت الكتابة والقراءة. رسالة ماجستير. للطالبة: زهيرة شنيبي. كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية قسم: اللغة العربية وآدابها- جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي - الجزائر. السنة الجامعية: ٢٠١١/٢٠١٢. ص ٩.

(٤) ينظر: السرد واحجاج القراءات المتصارعة التنوع والمصدقية في التأويل. ص ٣٣٤.

المستقبل عبر الأوائل من رواه" (١)، إننا أمام ثنائية أخرى يثيرها حدث الولادة، ثنائية الماضي والمستقبل، ثنائية الزمن وما يتعاقب معه من الفكر والحياة، وهي تأتي في شكل متسلسل يخدم الخطاب، ويكشف عن قوة السرد الحجاجية؛ فالخطاب " تشكل لغوي مركب يشترط فيه التماسك والانسجام، ويحمل دلالة يمررها المرسل إلى مخاطبه من أجل إبلاغه معلومة ما، أو التأثير فيه عقليا أو وجدانياً أو سلوكياً . وبالتالي فهو يشكل نسقاً أو " بنية منظمة" لها قواعدها التي تتحكم في صيرورتها وتنميتها من أجل إنتاج هذه الدلالة الكلية التي ليست بالضرورة نتيجة مباشرة بمجموع الدلالات الجزئية التي تقدمها الجمل والملفوظات باعتبارها المكونات الجزئية أو الصغرى المشكلة للخطاب" (٢)، فيعد الهيكل العام للخطاب - وما يستخدمه من تقنيات من أهمها السرد الذي يسير في هذه المذكرات بشكل متنام - من أهم تقنيات الحجاج .

إضافة إلى ثنائية الزمن السابقة نجد ثنائية أشد تأثيراً هي ثنائية الوطن والآخر المتمثل في فرنسا " ففي ذلك اليوم لم يعد لعائلات قسنطينة من هم سوى إنقاذ شرفهم، وخاصة تلك العائلات التي كانت تكثر فيها الصبايا، فقد أدخلوا المدينة من ناحية وادي الرمل ... فبينما كان الفرنسيون يدخلون المدينة من كوة في السور كانت صبايا المدينة يسرع بهن آباؤهن إلى الجهة الأخرى منه يتدلين هرباً" (٣)، إن ثنائية الوطن والآخر تتضح هنا من خلال هذا الحدث الاجتماعي

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٥.

(٢) البلاغة والخطاب. إعداد وتنسيق. د: محمد مشبال. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط. الأولى ٢٠١٤. ص ١٦١.

(٣) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٥.

الذي يجر وراءه نوعية المقاومة التي تحصل في كل فترة استعمار، ولكن الأحداث تسير في اتجاه غير متوقع، وتتصاعد الثنائية في الأحداث وتعدد من خلال الزمان والمكان؛ فالراوي يسرد لنا هذا الحدث المهم "مات عمي الأكبر في قسنطينة وكان قد تبناني منذ أمد بعيد مما جعل زوجه تعيدني إلى أهلي في تبسة على الرغم مما خلف ذلك من أسي في نفسها وفي نفسي . لقد فعلت ذلك لأن مواردها لم تعد تسمح لها بإعاليتي"^(١)، تأتي الثنائية السردية لتغير حياة الكاتب، وتنقله من فضاء إلى آخر، من فضاء مدينته قسنطينة التي أسهب في وصفها، ووصف أهلها^(٢) إلى فضاء مدينة أخرى، وعالم آخر في مدينة تبسة "وعلى هذا فقد انضمت إلى زمرة أطفال تبسة، وفي هذا الوسط الجديد في عائلة مفرطة في الفقر أخذت أتعرف على جدتي لأمي، وسمعت الكثير من أقاصيصها التي كان محورها العمل الصالح وما يليه من ثواب"^(٣)، هنا ينشطر الكاتب في حياته الأولى بين زمانين ومكانين تنمو من خلاله الذات، فهذه الأحداث التي تسير بثنائية واضحة تؤثر في الكاتب/ الراوي من خلال الأحداث والأفعال والتأملات والأفكار بحثا عن مكان للذات من هذا العالم^(٤).

(١) السابق. ص ١٨.

(٢) ينظر: السابق. ص ١٥ - ١٨.

(٣) السابق. ص ١٩.

(٤) ينظر: السيرة والهوية. دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة. جينز بروكبير. دونالد كربو. ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم. المركز القومي للترجمة - القاهرة. ط. الأولى ٢٠١٥. ص ٤٧.

وفي داخل هذه المدينة، وفي المدرسة الفرنسية تنمو حياة جديدة للكاتب " لقد وضعني أول امتحان - وكان على ما أعتقد إملاءً فرنسيًا وبضع أسئلة في اللغة - في مقدمة زملائي وأعطاني الحق في أن أكتب ذلك اليوم التمارين على الصفحة الأولى لما يسمى دفتر الصف، الذي كان المعلم أو المعلمة يضعه بيدي الطالب كل صباح لترتيبه، ولكن الذي بقي في ذاكرتي هو الحب الصاعق الذي جذبني بقوة نحو (مدام بيل)، ففي صباح أحد الأيام استيقظت وأنا أستشعر حبًا جنونيًا نحو معلمتي الجديدة، كما لو كانت أمي" (١)، وتكرر هذه الثنائية غير البريئة في حدث آخر " هل تأتي يا عزيزي؟ ولا ريب أنني كنت في نظرهن، بيزتي الخارجة عن الذوق المألوف بلونها المشرق أحد نزلاء الأرجنتين أو البرازيل، أعني المشحون بالدولارات، فكانت دعواتهن تفرع أذني كلما خرجت من الفندق، أو عدت إليه.

هكذا استقبلتني باريس بوجه بناهما الطائشات الكاسيات العاريات، العارضات لزيتهن وعرضهن دون أي شعور بالإثم" (٢)، هل نحن أمام ثنائية الأم والمعلمة؟ أم ثنائية الجزائر وفرنسا؟ أم أننا أمام ثنائية الشرق المتمثل في الذكورية الطاغية، والغرب بأنوثته الجذابة بما فيها من علم ومعرفة؟ هل تتعاقب هذه المذكرات مع موسم الهجرة إلى الشمال (٣) على خجل؟ كل هذه التساؤلات يدفعنا إليها هذا السرد وهذه الثنائية، وهذه التساؤلات هي الطاقة الحجاجية

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٢٥.

(٢) السابق. ص ٢٠٤.

(٣) رواية للطبيب صالح. دار العودة - بيروت. ط الرابعة عشرة ١٩٨٧.

التي يمتلكها السرد من خلال الخطاب؛ لأن الخطاب " يثير السؤال أو يستدعيه أو يوحي به أو يشير إليه، والمتلقي يتصرف تجاهه على نحو مزدوج، فعندما يقف على الجواب يضطر إلى مواجهة السؤال؛ إذ إن الجواب يثير عنده السؤال؛ لأنه حتى وإن كان يدعن لدعواه على نحو مضمر وبكيفية عامة فإن ذلك لا يمكن أن يكون إلا لكونه يحل سؤالاً يثيره في الحال أو كان يهيمه من قبل"^(١)، ومن هنا تبدأ رحلة المتلقي في البحث عن الجواب المتراجع في أثناء الخطاب، فالراوي يتعمد إثارة السؤال من خلال هذه الثنائيات التي تتصاعد ضمن فصول حياة الكاتب، مسيطرة على المذكرات.

وبعد أن مثلت الأحداث ثنائية الزمان والمكان ها هي تخالط كيان الذات، ف " ذات صباح وقف السيد (دورنون Dournon) في باحة المدرسة يقرأ أسماء أولئك الطلبة الذين تحولوا إلى كتل من اللحم، كريهة الرائحة لزجة الملمس؛ لكثرة ما تجمع عليها من عرق كان يتصبب في ليالي الدراسة الطويلة ... لقد بدأ أسبوع الربيع، فكل طالب كان يتجشأ ما عنده من معلومات طراً عليها التغيير أو ربما فسدت خلال أيام الامتحان ... بعد انتهاء هذه الأيام المحمومة تمر المدرسة بمرحلة أخرى، تلك هي القلق ... وخلال هذا الانتظار المؤلم يصبح الشاويش ك(عرافة ديلقس Delphes)، وكان الطالب الذي فرغ صبره وخاصة في ربيع الساعة الأخيرة قبل إعلان النتائج يسأله عميمي هل نجحت؟"^(٢)،

(١) اللغة والمنطق والحجاج. ميشيل ماير. تقديم وترجمه: محمد أسيداه. ضمن كتاب: الحجاج

مفهومه ومجالاته. ج ٢. ص ٣٧٠.

(٢) مذكرات شاهد للقرن. ص ٧٦-٧٧.

وتعلن النتيجة التي تؤهله للذهاب إلى فرنسا " وحينما يكون هناك صف أو تدافع حول شيء ما فإن (حليمه) يعرف كيف يكون في المكان الأفضل متهمًا من حوله بأنعم يدوسون على قدمه . كان يرفع رأسه لقصر قامته الذي كان يزعجه، ويقف على رؤوس أصابع قدميه أمام ورفة (دورنون) بالذات، وبقفزة واحدة يلوح رأسه بين الرؤوس المحيطة به، ويصرخ كما اعتاد أن يفعل كلما كان لديه ما يريد أن يفاجئ به وقال : " صديق... نجحنا " هكذا حافظنا هو وأنا على المنحة الدراسية"^(١)، لا شك أن الثنائية هنا منقسمة بين طفل أو طالب كان همه العلم والنجاح، وبين شاب تقتحم حياته المنحة، التي سنتقله إلى عالم آخر، وهي ثنائية ستجر إليها ثنائية الوطن وفرنسا مرة أخرى، ففي الوطن كانت الطفولة والتربية، أما فرنسا فهي فضاء العلم والجمال والحياة والصراع " إنه ذلك العصر الذي كانت فيه الفتيات الباريسيات يرددن هذه الأغنية " باريس شقراء باريس ملكة الكون ". وينبغي القول إن كثيرًا من الشباب الجزائريين كانوا يتنهدون خلف تلك الشقراء التي كان القناص (باهي) وصديقه (صدوق شتوكا) يرويان عنها أشياء تبرم رأس الشاب التبسي"^(٢)، نحن أمام صراع بين الثنائيات، صراع يبدأ من الظاهر، المتمثل في الغواية والجموح إلى أعماق التفكير والسلوك، والراوي هنا يمدنا بهذه الأحداث التي تعكس كل ذلك، سواء ثنائيات الراوي ذاته أم من يحيط به، وفي كل ذلك إثارة لتفكير المتلقي وعواطفه؛ فالإقناع" ليس مجرد عملية عقلية خالصة، بل يتجاوز ذلك

(١) السابق. ص ٧٧.

(٢) السابق. ص ١٣٦.

إلى حياة عواطف المتلقي واستدراجه نحو الإقناع . ويكون توجيه المتلقي نحو مقصد المتكلم عن طريق التحكم في الانفعالات التي ينبغي إثارتها^(١)، وهذه الثنائيات المتصارعة تؤثر في انفعالات المتلقي لما تحويه من ضروب الانقسام والازدواجية التي ترفض الفهم والإدراك السريع.

إن حدث إعلان نتائج الامتحان فاصل بين مرحلتين من حياة الراوي، حياة يدركها بما فيها من الفتوة والطموح، وحياة هي نوع من المغامرة " كان تفكيرنا الأساسي أن نمر فقط بباريس لنذهب مباشرة لاكتشاف عالم آخر كان آفاق من الاكتشافات والمفاخرة الباعثة على الحماسة ونرسم أمامنا"^(٢). إن حدث تجاوز الامتحان والدلوف إلى فرنسا يمد الراوي بمزيد من الطموح، والحلم الذي يراهن على تحقيقه.

وفي أحضان فرنسا يوقفنا الراوي أمام أحداث يسترجعها، هي تمثل ثنائية جديدة، إنها ثنائية الحضارة والريف، لكنها ثنائية تأتي بصورة غير متسلسلة، فلم يذكر الراوي أحداثاً عاشها في ريف (أفلو) إلا من قلب باريس، فهل هذا فرار من الحضارة إليها؟ من الحاضر إلى الماضي؟ لا زالت هذه الأحداث في تراتبها تثير القارئ، وتضعه أمام تساؤلات شتى، إنها أحداث تجعلنا أمام نمط آخر من الحياة والتفكير، أمام سمة من سمات السرد الذاتي البارز في المذكرات، إنها سمة الصراع؛ فتلك الأحداث " واقعية لأنها تصور طبيعة الحياة الإنسانية

(١) نظرية الحجاج. تطبيق على نثر ابن زيدون. عزيز لدية. عالم الكتب الحديث. إربد - الأردن.

ط. الأولى ٢٠١٥. ص ٤١.

(٢) السابق. ص ٤٠.

بجذافيرها، وهذا من خلال توظيف الصراع يعطي لها روح الحيوية في تصوير الأحداث، سواء أكانت نتائج هذا الصراع سلبية أم إيجابية، فهو يحقق لكاتبها التوافق والاتزان؛ إذ تشير له أن يعيش حياته الداخلية والخارجية من خلال ذكرياته، والكشف عن أسرار حياته الباطنية، وتأمل ذاته العميقة بما فيها من داخلي يمثل عالماً أصغر^(١)، ويزداد الصراع من خلال إبراز الثنائيات التي تمثل جوانب النفس المتصارعة، وانقساماتها العميقة، كل ذلك يجلب للقارئ صدق التجربة وتكاملها، مما يؤثر على قيمة السرد الحجاجية ويرفعها إلى أعلى طاقة للإقناع.

إن الثنائيات في هذه المذكرات تعد المحتوى العام أو "الوظيفة المركزية؛ لأنها المراد الذي يوظف من أجله الراوي كل المكونات بقصد إيصاله إلى ذهن المتلقي"^(٢)؛ فالكاتب/الراوي يكتشف حياته من خلالها؛ فهي تتضح شيئاً فشيئاً، ونحن أمام ذاتين أو راويين : بطل المذكرات الحقيقي، والذي يكتب اليوم عنها؛ فالرؤية مصاحبة، حيث لا يروي إلا ما يعلمه الراوي الحقيقي

(١) السيرة الذاتية بين الواقع والتمثيل في رواية "المنوعة" ل: "مليكة مقدم" ترجمة محمد ساري. رسالة ماجستير. -طالب جميلة -كرماني كهينة. جامعة البويرة. قسم اللغة والأدب العربي. عام ٢٠١٤ - ٢٠١٥. ص ١٩.

(٢) قال الراوي. البنيات الحكائية في السيرة الشعبية. سعيد يقطين. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء - المغرب. ط. الأولى ١٩٩٧. ص ٣٥.

فيستخدم ضمير المتكلم^(١)، " لم تكن أفكاري قد اتسقت بعد مع وضعي الجديد، منذ نزلت في صبيحة يوم شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠م بمحطة ليون بباريس، ولم تكن الأمور تقررت نهائيا في نفسي منذ فارقت قبل أسبوع أهلي، وودعت الأقران بتبسّة، وإنما الشيء الوحيد الذي قررته هو أنني لا أعود هذه المرة إلى الوراء، مثلما عدت المرة الأخيرة بعد النكسة التي أصابني مع رفيقي (قاواو) صيف ١٩٢٥" ^(٢)؛ فثنائيات الأحداث تلازم هذه المذكرات، فتصبح من سماتها البارزة فتنتقل من ظاهر الأحداث إلى باطن الفكر والأيدولوجيا " ها هو ذا امتحان الدخول لمعهد الدراسات الشرقية قد أتى . وكنت في هذه الفترة قد حولت مسكني من الفندق الأول إلى أقرب منه، إلى باب (سان دونيس)، في شارع القمر حيث توجد مدرسة اللاسلكي قريبا من مسكني الجديد، ولم أكن أشعر أن الأقدار كانت تنسج خيوط حياتي.

... نودي علينا فدخلنا، ولم تبد لي أية صعوبة في الاختبارات، ولكن

النتيجة كانت خيبة أمل: لم أنجح!!

وليس هذا كل ما في الأمر، بل لقد طلبني مدير المعهد، وفي هدوء مكتبه الوقور شرع يشعري بعدم الجدوى من الإصرار على الدخول إلى معهده، فكان الموقف يجلي لنظري بكل وضوح هذه الحقيقة: إن الدخول لمعهد الدراسات الشرقية لا يخضع - بالنسبة لمسلم جزائري- لمقياس علمي، وإنما للمقياس

(١) تختلف الرؤية حسب الراوي إلى: الرؤية من الخلف: التي يعلم فيها الراوي أكثر من الشخصية. والرؤية المصاحبة وهي التي تعني أن الراوي هو الشخصية. والرؤية من الخارج حيث يعلم الراوي أقل من الشخصية. انظر: تحليل النص السردى بين النظرية والتطبيق. ص ٦١.

(٢) مذكرات شاهد للقرن. ص ٢٠٣.

السياسي"^(١)، هنا ثنائية جديدة أكثر عمقا وجرأة، تلامس أعماق التفكير وتكشف حجب الستر " فعملية الكشف استراتيجية تحف بكتابة المذكرات؛ لأن الكتابة عنها غالبًا ما تعتمد إلى فضح المقموع أو المسكوت عنه، وإلى وضع الجسد بوضع علة الاعتراف أمام تعرية الأنثروبولوجيا، تعصف بحصانته، وعلائقه ومرموزه وشفراته؛ لذا تتحول اللغة بوصفها الأنثروبولوجي إلى قوة للتعمية، وإلى فعل استعاري يتقن عبره المعنى والفكرة والخطاب"^(٢) من خلال هذه الثنائيات التي بدأت من جدلية العنوان إلى أعماق القرن ذاته وتعاملاته وأفكاره، " وقد أدركت في تلك اللحظة نفسها عبارات المدير من نتائج عملية دون أن أحللها؛ إذ لم أكن بعد قد اكتسبت خبرة هذا التحليل، الذي يريني اليوم بكل وضوح درجة القرابة بين هذه العبارات، وما قاله لي قبل سنة مدير شؤون الطرق بمدينة (تبسة)، عندما سألته عن شروط الإسهام في المزايدة التي تجري كل سنة تحت إشرافه لإصلاح الطرق، أو لفتح طرق جديدة في الناحية، وقد اهتمت حينئذ باستغلال وسيلة نقل كانت لدي أستطيع بها نقل مواد الطرق من أحجار وغيرها.

ولكن عوضًا أن يدلي إلي بالمعلومات المطلوبة، أدلى إلي بنصيحة: -
الأفضل أن تبيع ما عندك من وسائل نقل إلى مسيو (كانبون) أو مسيو

(١) السابق. ص ٢١٦.

(٢) كتابة المذكرات. السيرة وأدب السيرة الذاتية. جريدة الشرق الأوسط. علاء المفرجي. الاثنين

- ١٥ جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ - ١٠ فبراير ٢٠٢٠ م رقم العدد [١٥٠٤٩]

(سبيترى) فإن المزايدة بين أيديهما^(١)، ومزيديا من الكشف نجده في أحداث محاولته السفر إلى مصر أو إلى الحجاز^(٢)

لقد مثل بناء الثنائيات من خلال الأحداث هيكلاً متماسكاً في هذه المذكرات، في إطار تسلسلي تراتبي متداخل المعالم، وهي ثنائيات يكشف من خلالها السرد قدرته الحجاجية، حيث إبراز جزئياتها، وإثارة التساؤلات حولها؛ ليحاول القارئ فهم علاقاتها المتنوعة التي تتكشف عبر سيرورة المذكرات الزمنية

٢ - الأحداث وسرد الاختيار: لا يستطيع كاتب المذكرات سرد كل الأحداث التي وقعت له مهما حاول ذلك، ولذلك يلتقط ما يعلق في الذاكرة منها؛ فهو يخضع تلك الأحداث لعملية الاختيار وهي عملية تؤثر فيها قدرة الذاكرة في استحضارها، كما يؤثر فيها حالة السرد وسلطة الخطاب؛ فالخطاب " لا يحلل بوصفه لفظاً مستقلاً بذاته فحسب، بل بوصفه تفاعلاً أو ممارسة اجتماعية أو نوعاً من التواصل في موقف اجتماعي أو ثقافي"^(٣)، وهذه التجاذبات تجعل الخطاب أكثر قدرة على التأثير من خلال نوعية السلطة التي يمتلكها طاقة حجاجية، تبرز هنا من خلال السرد، فيعد الاختيار فعلاً استراتيجياً " انطلاقاً من المواءمة بين الإمكانيات المتاحة للمخاطب والسياق الذي يحف عملية التخاطب"^(٤).

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٢١٧.

(٢) ينظر: السابق. ص ٣٥١ - ٣٥٣.

(٣) الخطاب والسلطة. توين فان دايك. ترجمة. غيداء العلي. المركز القومي للترجمة. القاهرة. ط.

الأولى ٢٠١٤. ص ٣٤.

(٤) استراتيجيات الخطاب. ج ٢. ص ٣٦٤.

ومما يوجه الاختيار ذاتية الكاتب/ الراوي؛ فمهما توخى الموضوعية في التوثيق فإن السرد له توجيهه في الخطاب لأن " كل حكاية ذاتية سردية هي نفسها جزء من حياة منغمس في سياق حي للتفاعل والتواصل والقصد والتخيل والالتباس والغموض، وهناك دائما قصة تالية مختلفة يمكن أن تحكى، كما أن هناك مواقف مختلفة يمكن أن تحكيها فيها، ويخلق هذا ديناميكية تبقى قصصاً حقيقية عن الحياة الواقعية، مع قصص محتملة عن حياة ممكنة، ونتيجة لذلك يمكن معالجة سرديات الحياة مثل معظم النصوص الأدبية بوصفها مفتوحة بلا نهاية"^(١)، ومن هنا يظل الاختيار للأحداث مقصداً أدبياً، وخطاباً يمتلك قدرته على العطاء والتأويل.

وفي هذه المذكرات نجد الكاتب/ الراوي يختار أحداثاً ذات الصبغة الذاتية؛ في محاولة لإبراز الذات التي تمثل جزءاً من ذلك القرن " في ذلك المساء خامرتني نشوة الانتصار، وأنا في ذلك المقعد الذي هو خلف سائق العربة. وعندما مرت العربة أمام مدرستي تحت نوافذ صفي كان لدي شعور بالنصر والتحرر"^(٢)، إنه حدث تتعاقب فيه ذات الكاتب / الراوي مع نشوة الانتصار والتحرر. فهل هي ذات تمثل المواطن الذي يرنو إلى التحرر والانتصار؟ ويتكرر مثل هذا الحدث الذي يبرز الذات بما تحمله من آمال وآلام: " لقد كان استقبال عمي وزوجه لطيفاً، فلم أشعر بذلك الضغط الذي كان يمارسه والدي عند كل هفوة، ولا بذلك الخجل الذي يفرض على الأطفال في العائلات المسلمة بحضور الآباء،

(١) السرد والهوية. ص ١٨.

(٢) مذكرات شاهد للقرن. ص ٣١.

ففي تبسة كنا نلهو إخواني وأنا عند غياب والدي عن البيت"^(١) وكان السباق في تبسة ذا شهرة كبيرة في منطقة قسنطينة بفضل الخيول الأصيلة، التي كانت في المنطقة، وفي يوم السباق بالذات يتجمع حول بوابة قسنطينة عدد كبير من الخيول ذات الدماء النقية ... وهناك تعرفت لأول مرة على المدفع الرشاش، الذي كان يقذف كالغاضب الحانق لهيبًا صغيرًا واحدًا تلو الآخر بقدر ما في المشط المتصل به من قذائف"^(٢)، "لقد كانت لي أحلامي أيضًا، وكنت أفسرها وفقًا لرمز خاص يمكن لي أن أنسبه إلى تربيتي البيئية الدينية، وكان تفسيرها في غير صالح الريفين ... ولكن الحلم ما كان له أن يغير الحقيقة في ناظري؛ فالريفيون كان أسودًا يكافحون وحشًا يفترسنا جميعًا، وبطولة الريفين كانت تتأثر لشعب لا يستطيع أن يثار لنفسه"^(٣)، إنها أحداث تبرز الذات ومشاعرها والأحداث التي كانت تجعل منها ذاتًا موجودة تتحكم في سير الحياة، وإذا كان الراوي يكتبها بعد مضي الزمن؛ فإنها شفرة تفسر ما كانت تحمله الذات وقتها، وما كانت ترى فيه التأثير في حياتها ومستقبلها.

وتتطور الأحداث لإبراز الهوية المنافسة من خلال الاختيار " افتتح المعرض بعد أسابيع وكان الزائر الذي يدخل من الباب الرئيس يشاهد مباشرة على يساره جناح لـ (الآباء البيض)، تعرض فيه نسخ العهد القديم والعهد الجديد، ولكن الجناح كان يوزع أيضًا كتابا صدر في تلك الفترة تحت عنوان (الرسائل

(١) السابق. ص ٤٥

(٢) السابق. ص ١٠٣

(٣) السابق. ص ١٢٧

الجزائرية) يتناول المحامي الجزائري لدى محاكم باريس، العادات والتقاليد الإسلامية بنقد فيه التشويه والتشنيع كأنما هذا المحامي الجزائري لدى محاكم باريس أراد بكتابه تقديم مرافعة ضد الإسلام زلفى وقرى من (الآباء البيض)؛ لينال على أيديهم الزبائن الذين لم يكسبهم لمجرد موهبة؛ إذ لم تكن له أي موهبة في الفصاحة والبلاغة^(١)، الاختيار للحدث يتجاوز إبراز الذات إلى إبراز الهوية والدفاع عنها من خلال الثنائيات التي تمثل هيكل هذه المذكرات "ونقل نادي الشبيبة الإسلامية لافتته من مقرها الصغير الذي تأسس فيه سنة ١٩٢٥ إلى مقره الجديد في الميدان الرئيسي وأصبح يزاحم المقاهي الأوروبية الكبرى"^(٢)، هل نحن أمام إبراز أحداث بريئة واختيار عشوائي مما علق في الذاكرة أم أننا أمام اختيار مقصود؟ وتمثيل لمزاحمة أخرى تنطلق من هذا المقر الصغير، إنها طبيعة السرد في المذكرات، الذي تكون فيه "الشخصية محط أنظار القارئ يتتبعها في فكرها، ولغتها ووضعها وسلوكها؛ ليكون من كل ذلك صورة عنها، ولا يأتي تقديم الشخصية بصورة واحدة، بل تتعدد الصور والأساليب في تقديمها"^(٣)، وهو ما يلمسه القارئ لهذه المذكرات "وبالإضافة إلى أن الأحداث حولنا كانت تتوالى، يحو اللاحق السابق منها في ذهننا، فها هو ذا يأتي من الجزائر نبأ يثير اهتمامنا أكثر من غيره؛ إن وفداً من اتحاد النواب سيحل قريباً في باريس؛ ليقدم مطالب الشعب الجزائري، وحسب ادعاء ذلك الوفد، فهذا

(١) السابق. ص ٢٣١.

(٢) السابق. ص ٢٦٢.

(٣) تقديم الشخصية في رواية مذكرات دي: دراسة في الخطاب السردى. د. عهود ثعبان يوسف.

مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث. المجلد الثاني. العدد السابع ز ص ٣٠٨.

يعني في الحقيقة أن يقدم بعض المقترحات المعقولة، خصوصًا في نطاق القانون الأهلي"^(١)

إن الكاتب يختار هذا الحدث الذي ربما لا يمثل اليوم شيئًا، لكنه في الذاكرة يعد رئيسًا في بناء حياة أخرى يراها الكاتب من خلال هذه المذكرات التي تكتب اليوم، ولنا أن نقول إن موقف كاتبها مؤثر على حقيقتها وقت استرجاعها، من حيث اختيارها، واستدعائها.

٣ - سرد الأقوال والتعدد الصوتي: إن سرد الأقوال يعد استراتيجية سردية من خلال صوت الراوي، والأصوات التي تبرز من خلاله، وهو ما يمكن تسميته - حسب معجم السرديات - بالتعدد الصوتي "أي قول يقال يشتمل على أصوات وآراء منسوبة إلى آخرين غير الذي قال القائل؛ فالقائل في نطاق الكلام لا يكون مصدرًا ثابتًا للمعنى القائم في قوله؛ وإنما قدره أن يكون مشاركًا يسهم في عملية اجتماعية لإعادة بناء للدلالة، من خلال عدد لا ينتهي من الخطابات"^(٢)، وتنحو المذكرات منحى هذا التعدد الصوتي؛ لأنها تمثل للقارئ الوقائع التي لا يمكن دحضها، فهي تشكل نقطة انطلاق للحجاج^(٣)، ومن هنا يحاول كاتب المذكرات سرد الأقوال متعاقبة مع صوت الراوي، وحاملة لما يراه أو يفسره هو.

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٣٠٩.

(٢) معجم السرديات. ص ٩٧.

(٣) ينظر: في نظرية الحجاج. دراسات وتطبيقات. أ. د: عبد الله صولة. مسكيلياني للنشر والتوزيع - تونس. ط. الأولى ٢٠١١. ص ٢٤.

وفي (مذكرات شاهد للقرن) لم يكن سرد الأقوال بارزًا بروز سرد الأحداث، الذي تمت معالجته، وهذا راجع إلى قيام المذكرات على هيكله مقصودة في الخطاب، أساسها بناء الثنائيات التي تتشكل من الحدث أكثر من القول، ولكن يظل القول له دوره في طاقة الخطاب الحجاجية؛ فقيمتها الحجاجية تظهر - كما يقول طه عبد الرحمن - : " في كونه يسد مسد دليل - أو ملزوم - معين له مدلول - أو لازم - يفهم من السياق، مدلول يقصد المتكلم مطالبة المخاطب التصديق به، والانتهاض للعمل على وفقه، أي يقصد إلزامه والتزامه به معاً"^(١)؛ فسرد الأقوال يطالعنا منذ البداية؛ فالتداخل الصوتي في بداية المذكرات يأتي من خلال الراوي الوهمي، الذي يضعه الكاتب بدلًا منه^(٢)؛ لأن المذكرات ستكشف جانبًا من المسكوت عنه، ومن ثم يخرج الراوي الحقيقي من تساؤلات القارئ المتخيل، الذي لا يعني أنه من صنع الخيال، بل يعني "أن المتكلم قبل أن يواجه المخاطب الواقعي بخطابه يكون قد استطاع أن يكون عنه تمثلاً ذهنيًا، وصورة متخيلة انطلاقًا من معطيات سياقية تخص المخاطب الواقعي... فهو عنصر متغير يحدده المتكلم عندما يختاره هدفًا لمشروع الإقناع والتأثير"^(٣)، وهو ما تمارسه هذه المذكرات من خلال سرد والأقوال وتداخل الأصوات؛ ففي مرحلة الطفولة تحف بالكاتب / الراوي أصوات ينقلها لنا من

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. طه عبد الرحمن. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء - المغرب.

ط. الثالثة. ٢٠١٢. ص ٢٧٦.

(٢) ينظر: مذكرات شاهد للقرن. ص ١٤.

(٣) دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي. د: حسن المودن. ضمن كتاب: الحجاج مفهومه

ومجالاته. ج ١. ص ٢٢٨.

الداخل، حيث المشاعر والعواطف التي يكشفها القول المسرود "وعلى بعد خطوات من المحطة تلفتت أُمِّي إلى مربيتي وقالت لها:
- عزيزتي بهيجة إني أترك الصديق في عهدتك.
وبشيء من الاحتجاج أجابتها مربيتي:

- آزهيرة عزيزتي ، وهل أنت بحاجة لمثل هذه الوصية؟"^(١).

إن الراوي يمارس الرؤية من الداخل، ويبرزها من خلال الأقوال/ الأصوات، حيث علمه بخفايا النفوس، التي تمثل في هذين القولين الأمومة والوفاء، وهذه الرؤية جعلت الراوي أكثر تعرفا على الشخصيات التي يواجهها، "وعلى عتبة ذلك الباب استقبلني رجل له سمت ينبئ عن اتصال وثيق بوسطي الجديد، كانت السنين قد أحنت ظهره ، وكان يرتدي عادة قميصا من الكاكي أثناء العمل، أما ساعات الراحة فيرتدي البرنص . استقبلني برنصه وعليه ابتسامة ساخرة كنت أعرفها فيه أثناء دراستي في المدرسة.

سمة لؤم وعينان خبيثتان وراء نظارتين بذراعين معدنيتين، وشارب وخطه الشيب، كانت هذه كلها سمات ذلك الرجل الذي يدعونه عمي ...

- من أنت؟ ومن أين أتيت؟

لقد سألني عند وصولي حاملا حقيقتي، بينما وضع حمال على عتبة الباب طردا فيه فراشي والغطاء ملفوفين بكيس من القماش . وأجبتة : إنني من تبسة.
ألقي نظرة على ورقة كان يمسكها بيده وقال:

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٥٥.

- حليمية . صديق .

- أنا أدعى صديق .

- حسناً اتبعني إذن .

تبعث ذلك الرجل بينما رفع الحمال حملة وتبعني" (١) .

الكاتب / الراوي يسرد القول بعد الكشف عن شخصية القائل، من خلال الوصف الذي لم يكن عفويًا، بل سيؤثر في القول، ومن ثم في السلوك؛ ففي مقارنة النص السردي " لا ينظر إليه من حيث حبكته، أو تكوينه الجمالي المستقل بذاته، بل ينظر إلى وظيفة هذا البناء في سياق تواصله" (٢)، ينطلق من مؤثرات الخطاب التداولية وأبعاده الحجاجية؛ فلم تذكر صفات (الشاويش) إلا طاقة حجاجية تدفع بالخطاب قدما في سبيل التأثير والإقناع من خلال السرد الذي يتطور، كاشفا عن هذه الشخصية " خلال هذا الانتظار المؤلم يصبح الشاويش ك(عرفة ديلقس Delphes)، وكان الطالب الذي فرغ صبره وخاصة في ربع الساعة الأخيرة قبل إعلان النتائج يسأله عميمي هل نجحت؟ وكان عميمي هذا يتصنع الغموض ويجب باستهزاء: هي ... هي... هي.....

ما معنى هذا...؟ وإذا لم يكن أحد يتجرأ على تفسير كلمات العراف فمن الأفضل التسليم بالمقدور" (٣)، نحن أمام كشف عن المشاعر والخلجات النفسية التي تصاحب هذه الأصوات، والكاتب كأنه بمعزل عنها فيترك الشخصية

(١) السابق . ص ٥٨ .

(٢) البلاغة والسرد . جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ . د: محمد مشبال . منشورات كلية

الأدب - جامعة عبد الملك السعدي - تطران - المغرب ٢٠١٠ . ص ١٥ .

(٣) مذكرات شاهد للقرن . ص ٧٧ .

تتحرك من خلال هذه الأصوات كاشفاً هو عن خفايا، وفي هذا طاقة حجاجية، تتمثل في حمل المتلقي على معايشة تلك المشاعر والتأثر بها؛ فالمتكلم " مثلما يحتاج لأفكاره التي يؤمن بها وأفعاله التي يأتيها يحتاج لانفعالاته وعواطفه، ويصطنع الحجج ويلتمس البراهين كي يحمل مخاطبه على أن يدخل في حالة انفعالية معينة"^(١)، نجدها في الأقوال السابقة من حيث موقف القارئ من (الشاويش) ومن الطلبة المغلوب على أمرهم.

ويستغل الكاتب / الراوي التعدد الصوتي في سرد حجاجي آخر، من خلال إبراز طاقة القيم في الخطاب " وعندما كنت عائداً إلى المنزل مساء نادني أمي إلى غرفتها . كانت مستلقية على سريرها ولم يكن بمقدورها سوى أن تنام أو أن تقف على عكازين.

كان والدي جالسا بقرها على كرسيه ، قالت لي :

- صديق أتريد الرحيل؟

وبقيت صامتاً. فأردفت:

- إذن اذهب إلى باريس لتتابع دروسك؛ وأكمل والدي فكرتها:

- إنك تعرف (بن ستيي)، إنه بعد ان أنهى دراسته في المدرسة التحق لمدة عام بمدرسة (اللغات الشرقية)، وبذلك أعفى من شهادة الدراسة الثانوية وسمح له بالتسجيل في كلية الحقوق . ثم أردف والدي قائلاً :

- سوف نرسل لك كل شهر ما تحتاجه.

(١) الباتوس: من الخطابة إلى تحليل الخطاب. من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف.

د: حاتم عبيد. ضمن: كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته. ج ٢. ص ٧٧.

وأقلتني الباخرة بعد ثلاثة أيام إلى عنابة (BONE) في طريقي إلى باريس^(١)، إن قول الأم والأب متطابقان، فهما يدفعانه إلى الرحيل والدراسة، والكاتب / الراوي يستغل ذلك في تصاعد الخطاب، ورسم طريق للبطل = الراوي لتبدأ مرحلة جديدة من المغامرة، وسرد الأقوال هنا يعطي للخطاب حججته من خلال موافقة الوالدين، وذلك يمثل بعداً حججياً ينطلق من أعماق المؤثرات الدينية التي يعترف الكاتب من قبل بتأثيرها عليه^(٢)، وفضاءها المحيط به، وهذا البعد الحججي هو ما يسمى بحجج القيم؛ حيث يعمل الكاتب من خلال الخطاب على " التلاؤم مع منظور ومعتقدات مخاطبيه، والمناسبة بين تصوره القبلي المتولد عن المتخيل الجماعي، والمستخلص من الخطاب لينتج عنها شرعية وسلطة للقول"^(٣)، التي تؤدي إلى طاقة حججية تؤثر في المتلقي وتقنعه.

وقد يكون سرد الأقوال والتعدد الصوتي كاشفاً عن مجموعة الأفكار والمعتقدات، التي تحتفي وراء الشخصيات، "رحنا ذات يوم نتحدث عن نظريات (فرويد) في الأحلام، وانطلق كل واحد يذكر بعض ما رأى فذكرت بدوري :

- إنني رأيت مناماً : أصدعد إلى النجوم...
وإذا بكبرى البننتين تقاطعني :

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) ينظر السابق. ص ٢٥.

(٣) الحجج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة. د: أمينة دهري. شركة المدارس للنشر والتوزيع

- الدار البيضاء - المغرب. ط. الأولى ٢٠١١. ص ١٦.

- صحيح؟ هل صحيح أنك رأيت هذا؟
كررت السؤال مرتين أو ثلاثاً ، وقبل أن يرجع لي نفسي قالت:
- إذا كان صحيحاً فإنك ستصير رجلاً مشهوراً .

فهمت أنها تؤمن بالعهد القديم أكثر مما تؤمن بـ(فرويد) فقد فسرت الحلم بكل وضوح حسب قصة يوسف في الكتاب المقدس، بينما كانت هذه العانس اليهودية تصرح في كل حديث دار على الدين قبل ذلك، بأنها لم تلقن أي شيء ديني في طفولتها بـ(كتشيف)^(١)، إن التعدد الصوتي الذي يسرده الكاتب في هذا الحوار موهما القارئ البعد عن حيثياته يكشف صراعاً بين القديم والجديد، وهي سمة القرن الذي يحتاج للشهادة له أو عليه، فسرد تلك الأقوال والتعدد الصوتي المزوج بين القديم والحديث، أو بين المخفي والظاهر، يمثل ظاهرة حجاجية تعارضية، ينشئها المقام التداولي من تغاير في الأوضاع واختلاف في الاختيارات^(٢)، التي تعكس بدورها جزءاً من تناقضات القرن وصراعاته، ليتم الربط بين جزئيات الخطاب القائم على نوع من المفارقة أو الازدواجية؛ فالعناصر السردية "تقدمها عناصر لغوية فاعلة معها في كل لحظة عبر صوت لغوي، وتركيب صرفي نحوي وسياقات توظف المعجم الخاص

(١) مذكرا شاهد للقرن. ص ٢٢٥.

(٢) ينظر " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. طه عبد الرحمن. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء

- المغرب. ط. الخامسة. ٢٠١٤. ص ٥٠.

بالسارد، متوزعة ومتكاملة عبر النص كله"^(١)، ومن خلال كل ذلك تنجح عملية التأثير والإقناع التي يمارسها الخطاب على المتلقي .

القسم الثاني: السرد والزمن:

يرتبط السرد بالزمن ارتباطاً قوياً، "وتكتسي تحديدات المقام السردى الزمنية أهمية لا تكتسيها تحديداته المكانية . وذلك أنه بالإمكان أن تروي قصة دون تحديد المكان الذي تروى منه...ولكن يستحيل ألا يتحدد موقعها الزمني من الفعل السردى، ما دامت تروى بالضرورة في الزمن الحاضر أو المستقبل"^(٢)، وترى سيزا قاسم أن الزمن "يمثل عنصراً من العناصر الأساسية التي يقوم عليها فن القص؛ فإذا كان الأدب يعد فناً زمنياً - إذا صنفنا الفنون إلى زمانية ومكانية - فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن"^(٣)، ولا سيما فن كتابة المذكرات؛ فالزمن فيها يرتبط بالذاكرة التي تستعيد الأحداث والأقوال، وهو زمن يتجلى من خلال أنواعه الأربعة : السرد اللاحق والسرد السابق والسرد المتزامن والسرد المدرج^(٤)، ويمكننا توضيح ما برز من هذه الأنواع في (مذكرات شاهد للقرن) كما يلي:

١ - السرد اللاحق : وهو الذي يكون زمنه تالياً زمن الحكاية، وهو كما يقول (جونات): " الموقع المؤلف للسرد؛ إذ من الطبيعي أن تكون الحكاية

(١) قناع السرد في أرض السواد. مدحت جبار. مجلة فصول. العدد ٦٥ خريف ٢٠٠٤ - شتاء ٢٠٠٥. ص ٢٥١.

(٢) معجم السرديات. ص ٢٢٨.

(٣) بناء الرواية. د: سيزا قاسم. مكتبة الأسرة. مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤ ص ٣٧.

(٤) ينظر: معجم السرديات. ص ٢٢٨.

سابقة للفعل السردي"^(١)، وهو الأكثر شيوعاً في المذكرات؛ لأنها تكتب من خلال الرجوع إلى الورا لتسجيل الحكاية، أو الحدث السابق لفعل السرد، ولكن هذا الرجوع إنما هو إبراز للذات من خلال الزمن السردي، المعتمد على الذاكرة المستعادة، التي لا تضيء للوعي " إلا وقائع الماضي وأحداثه المتجانسة لعلاقات اللحظة المهيمنة على الوعي"^(٢)؛ ولذا نجد هذه المذكرات (شاهد للقرن) تنفصل عن الذات منذ البداية في محاولة لإطفاء جذوة الوعي الآنية، ولترك السرد الزمني يمارس دوره في كشف الأحداث والحكاية، "كنت في السادسة أو السابعة من عمري، وكان وضع عائلتي قد ساء مادياً، فجدي لأبي باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة، وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب"^(٣)، إن الزمن في هذا الحدث زمنان: زمن الحكاية السابق، وزمن الكاتب / الراوي : السادسة أو السابعة، والربط بينهما يحمل طاقة حجاجية؛ فالحدث الزمني هو سوء أحوال العائلة مادياً، وذهاب أملاك الجد التي تتضمن حياة المستقبل، فنحن أمام حاضر ومستقبل يعج بالسوء والضياع، وربط ذلك كله بسن الكاتب (السادسة السابعة) ربط يثير المتلقي عاطفياً، ويحملة على الشفقة، ومتابعة الأحداث لوجود ملفوظات انفعالية، وهي

(١) السابق. الصفحة نفسها.

(٢) زمن الرواية. جابر عصفور. دار المدى للثقافة والنشر، دمشق - سوريا. ط. الأولى. ١٩٩٩

م. ص ١٦٧.

(٣) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٦.

ملفوظات يتم إسنادها إلى موضوع نفسي^(١)؛ فالربط بين ملفوظات (السادس - السابعة - سوء حال العائلة - بيع الجد - الأملاك - هجر المكان) يكون له الأثر البين في إثارة المتلقي للخطاب، وتجعله متشوقاً إلى معرفة كيف سيكون حال هذا الطفل مع هذا الزمن وهذه الحالة السيئة؟ والكاتب لا يكتفي من خلال سرد الزمن السابق بذلك، بل يرسم صورة الفضاء المجتمعي المتجاوز للعائلة، وهو فضاء يوحي بسوء الحال وتغير القيم " لقد احتفظوا بالمظاهر فيما هم فقدوا الجوهر، إلا أن المظاهر بدورها لم تسلم في النهاية من التغيير . فهذه العادات الأخلاقية والاجتماعية قد اعتراها التحول. وقبل مولدي بضع سنوات لم يعد أهل المنازل يضعون في المشكاة التي كانت بجانب الأبواب طعاماً للفقراء، يكتفون عن السؤال بصوت مرتفع وهم يطرقون الأبواب ... ومنذ طفولتي اختفت عادة تضامنية جميلة تقضي بأن يعير الجار عروس جاره خلي الزفاف. لقد اختفت هذه العادة لأن كثيراً من الحلي المعارة في أحد الاحتفالات لا تعود لأصحابها"^(٢)، يعتمد الكاتب / الراوي ربط الأحوال السيئة والتغير المجتمعي بحياته (قبل مولدي - منذ طفولتي) وكأنه يمهد لنوع من الصراع الذي سيحدث له، ولكن الطفل يتجاوز هذه الأوضاع المتردية من خلال تضحية الأم " ففي العائلة الفقيرة لا بد أن يجوع الصغار متى فقد الأب عمله، غير أن

(١) ينظر: من الخطابة إلى تحليل الخطاب. من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف. ص

(٢) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٧.

أمي كانت تحول دون ذلك بممارستها للخياطة، وبالتالي فهي التي كانت تمسك بكيس النقود الذي كان دائما فارغا.

ولا أزال أذكر كيف أنما اضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص، وأذكر أنه كان مصنوعاً من عدة ألواح من الخشب ورفعت على صقالتين . وكان هذا يسمى في الجزائر آنذاك (السدة)^(١)، نستطيع أن نقول إن الكاتب هنا يهتم بزمن السرد المتصاعد من خلال نمو الذات وتكاملها، وهو زمن يوحى بالتكامل بين الذات والعائلة التي تتخذ نمطا اجتماعيا مغايرا " لقد أزف يوم الرحيل إلى قسنطينة، وأمي أمضت تلك الليلة في تحضير الحقيبة التي سوف أحملها معي . فقد قرر أهلي أن يرسلوني إلى بيت عمي محمود لأن جدي (الخضير) قد مات؛ ولذلك لم يفكروا بإرسالني إلى أمي بهيجة التي لن تستطيع مراقبة تصرفاتي ومتابعتي في المدرسة.

أما أنا فقد قضيت عشية الرحيل ليلة بيضاء لا أطيق صبرا على ساعاتها من الأرق . وأخيرا حلت اللحظة المنتظرة وجاءت أمي لتوقظني الساعة الخامسة لأن (الأوتوبيس) يترك تبسة في السادسة"^(٢)، الفعل الماضي المسيطر على هذه الأحداث (أزف-أمضت-مات-قضيت-حلت-جاءت) يكشف السرد اللاحق، الذي يجعل القارئ يتابع فصول هذه الحياة متصاعدة .

إن الذات في هذه المذكرات تسير مع الزمن كما تسير العائلة معها، في تناغم غريب فليس هناك نوع من الصراع، فهل الكاتب وتلك العائلة في هذه

(١) السابق. ص ١٩ .

(٢) السابق. ص ٤٣ .

الدرجة من المثالية المتعالية؟ وهذا النموذج يخالف بعض المذكرات كمذكرات طه حسين^(١) التي يعيش البطل فيها صراعاً بين أفراد العائلة والمحيط الاجتماعي، أما هنا فنفتقد هذه الروح من الصراع، مما يجعل المذكرات تنسجم مع الذات، ويتناغم السلوك مع الأيدولوجيا، كل ذلك يحمل طاقة حجاجية في الخطاب، من خلال ما يسمى بالانسجام بين الأبنية العليا للحكاية التي هي "نوع من أنواع التخطيط الذي يكون من إنتاج المتكلم الذي سيحكي الحكاية"^(٢)، وهي هنا انسجام بين الأحداث وتصاعدها زمنياً "أما خارج عملي فقد وجدت صحبتي في وكيل قضائي ذي أصل قسطنطيني و(خجا) وحدة إدارية مختلطة، كان أولاده أسن مني، ومساعد طبيب وموظف في بنك .

كنت أجدهم كل مساء في مقهى يديره زوجان من أصل مالطي . كانت الزوجة فاتنة الجمال . والشباب المفتون بها يطلب من أجل عينيها الجميلتين كؤوس خمر اليانسون (Anisette)، يشربونها واحدة تلو الأخرى حتى التاسعة مساءً، ثم ينصرف كل منهم يتجشأ سكره.

أما كيف تمكنت من المحافظة على نفسي في هذا الوسط؟ فالله وحده يعلم "^(٣)إننا أمام انسجام متصاعد، يحمل في طياته نوعاً من الصراع الخفي الذي يعاينه الكاتب/ الراوي فيعرضه الزمن عبر تصاعده "كان ذلك اليوم سعيداً لأنه يخلصني مؤقتاً من مسؤولياتي، ويخلصني أيضاً من ذلك الحائط المعنوي

(١) ينظر: الأيام. طه حسين. مركز الأهرام للترجمة والنشر. ط. الثانية. ٢٠٠٤.

(٢) نظرية الانسجام عند فان ديك. جمعي فاطمة الزهراء. مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية.

(٢٠١٧) العدد ١٠ مجلد ٥. ص ١٩٩.

(٣) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٩١.

الذي في الجزائر بين منطقتي وجود تنتهي على حدود عادات وتقاليد الطرفين، فلا ينظر أحد من نافذته إلى الطرف الثاني إلا بالريبة والتشكك، كما تنظر مدام (دوننسان) من دكانها إلى حياتنا العادية وغير العادية بمدينة تبسة.

لا يرى هنا ذلك الحائط، حيث يذوب الفرد في وجود عام، ولا رقيب على سلوكه إلا ضميره^(١)، إن الزمن يتصاعد مع الحكاية، وبظل الكاتب متمسكا بانسجامة مع ذاته أمام ذلك الوجود المتغير، حتى حينما تتغير المراقبة الخارجية تظل المراقبة الداخلية هي المتحكمة، وهي التي تزرع الانسجام، وهو انسجام داخلي يعكس انسجاما في الخطاب من خلال تسلسل السرد وتصاعده مع نمو الكاتب أو الراوي، ومن ثم فهو يمثل ظاهرة حجاجية؛ لأن الحجاج "ينبع وينبثق من اللغة في صورة إرشادات، فتكون هذه الأخيرة حامل القيم الحجاجية، والضامن لجميع صور التأليف داخل المسلسلات الحجاجية، ومن ثم يصير الحجاج جزءا من دلالة الجمل مستوطنا أعماق اللغة"^(٢) كاشفا عن طاقة الخطاب والحكاية الحجاجية.

٢ - السرد المتزامن: يرتبط زمن السرد بعملية التلطف، حيث يمكن لسارد الحكاية أن يتلاعب بالنظام الزمني بطريقة تكون لا محدودة؛ فقد يطابق السرد زمن الحكاية، وقد يكون تاليا أو سابقا له^(٣)، وهذا التحكم في زمن السرد

(١) السابق. ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) المظاهر اللغوية للحجاج. مدخل إلى الحجاجيات اللسانية. رشيد الراضي. المركز الثقافي العربي.

الدار البيضاء - المغرب. ط. الأولى ٢٠١٤. ص ٦١.

(٣) ينظر: زمن السرد في روايات فضيلة الفروق. أسماء دربال. رسالة ماجستير. جامعة الحاج لخضر

- بانته - كلية الآداب واللغات. قسم اللغة العربية. العام الجامعي ٢٠١٣-٢٠١٤. ص ٢٧.

يخضع لدوافع الخطاب التي يتحكم فيها الكاتب أو الراوي، والتي تهدف في جوانبها المهمة إلى عملية التأثير والإقناع، لا سيما في سرد المذكرات، حيث يكثر فيها السرد اللاحق إلا أن الكاتب/الراوي قد يستعمل زمن السرد المتزامن فيكون السرد "متزامنا مع الحكاية"^(١)، ومع أنه - كما يؤكد جوناس - أبسط أنواع الزمن السردية لكونه يلغي كل إمكانية للتدخل بينهما^(٢) إلا أنه من جانب آخر يمثل استحضار الزمن والحكاية معا؛ فننعدم المسافة بين السرد والمتلقي، بمعنى معاشته الحدث، ومن هنا تكمن الطاقة الحجاجية؛ فالكاتب يعدل من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع، وهو عدول يحمل مقصدا حجاجيا؛ فالكيفية " التي يقال بها الشيء تعد جزءا مما يقال . حينما يعدل المتكلم قوة منطوقه الإنجازية، فإنه يدلل بذلك على وعيه بالمقصد وتقديره لمقتضيات السياق، وهما يرتبطان بكفاءة المتكلم وأدائه معا"^(٣)، وهذا ما نجده في المقطعين التاليين: "و حينما نجتاز بوابة (سيدي سعيد) ونحن في طريقنا إلى الكاتدرائية، أو نعبّر بوابة قسنطينة إذا قررنا المسير إلى (وادي الناغوس) فإن الليل في صيف تبسة ينشر سحره الفاتن أمام أبصارنا.

وكنا نحن بصورة عامة نختار الطريق الأول في نزھاتنا، فيبعدنا ذلك عن جمهور المنتزهين الذين يؤثرون الطريق الآخر؛ فهو لعله يغري الشباب بالمرور في الحي الأوربي، لرؤية الحسنات الأوربيات بينما المتقدمون في السن تقودهم

(١) معجم السرديات. ص ٢٢٩.

(٢) السابق. الصفحة نفسها.

(٣) تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب. محمد العبد. مجلة فصول. العدد

٦٥، خريف ٢٠٠٤ - شتاء ٢٠٠٥. ص ١٤٣.

العادة والسلوك" (١)، " وفيما كنت أهين نفسي للوقت الذي أستطيع فيه على حق التوظيف، كان يزعجني أن أقضي أيامي في البيت، وفي المساء عند (باهي) أستمع إلى أقاصيصه وأسطواناته، وفي (حمام عباس)، حيث نلعب لعبة (الطاس تقول) " (٢)، إن السرد يتعاقب والزمن من خلال بنية الخطاب باستعمال الفعل المضارع الدال على الحال أو الاستقبال؛ فالمشهد يقفز عبر الزمن ليكون حاضرا بين يدي القارئ، حيث " يتوقف السرد من أجل أن يفسح المكان للمفارقة" (٣)، التي تمنح للخطاب طاقة حجاجية تكمن في كونها - كما تقول نبيلة إبراهيم - : " لعبة لغوية ماهرة بين طرفين : صانع المفارقة وقارئها على نحو يقدم به صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفض المعنى الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي، الذي غالبا ما يكون المعنى الضد، وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقارئ بال إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه ليستقر عنده" (٤)، ونقل الحدث من الزمن الماضي إلى الحاضر في المذكرات التي هي في ذهن القارئ ماض بحت نوع من هذه المفارقة، التي تستثير القارئ، لكنها استشارة لا تبحث عن معنى، بل تجبره على المشاهدة والمعاشية ومتابعة التفصيلات " ثم تبدئ جلسة العمل، فتجلس

(١) - مذكرات شاهد للقرن. ص ٩٩.

(٢) السابق. ص ١٦١.

(٣) بنية النص السردية. حميد حميداني. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع. الدار البيضاء

- المغرب. ط. الأولى ١٩٩١. ص ٧٤.

(٤) المفارقة. نبيلة إبراهيم. مجلة فصول. المجلد السابع. العدد ٣ - ٤ إبريل - سبتمبر ١٩٨٧ م.

ص ١٣٢.

زوجي في ركنها بعد أن تناولنا القهوة وتلحق بها هرتنا لوزة لتغط على ركبتهما في نومها بينما تستأنف سيدتها نسيجها اليدوي بالإبرة، ولم يكن موضوع المناقشة محددًا من قبل، وغالبا ما تحدده الورقة الصغيرة التي يخرجها (حمودة بن الساعي) من جيبه... فيدور بيننا الحديث ويدوم أحيانا إلى الساعة الواحدة ليلا^(١)، السرد هنا ينقل القارئ إلى ذلك الاجتماع وطبيعته، من خلال تزامينته التي تختصر الزمان، وتقرب المكان ليكون مشهدا حيا مشاهدا بكل التفاصيل، التي أراد الكاتب نقلها؛ فالزوجة تجلس جانبا غير مشاركة للرجال في جلستهم، وهو متسق مع الشخصية وتكوينها الأيدلوجي والمعرفي، وهذا الاستحضار هو استحضار متعمد؛ لأنه أهم جزئيات المذكرات التي يرى فيها الكاتب مظاهر القرن .

ويوظف الكاتب هذا الاستحضار، أو تزامن السرد والحكاية لوظيفة أخرى " وما ننتهي من الأكل حتى تصبح المائدة وسط الغرفة لتوضع عليها تحفة فيها طاقة من الزهور تشتريها زوجي كل مرة حين تذهب إلى سوق باب فرساي حتى القطة لوزة عندما تغادر مرصدها وتأتي إلى الغرفة تصبح هي الأخرى مجرد تحفة يراها الزائر في بيت عرائس ...

إنني أذكر هذه التفاصيل لأنني أعدها دالة على التطوير النفسي الذي سيجعلني أشد الناس نفورا لكل ما يسئ لذوق الجمال ولأنها تفسر ثورتي على بعض جوانب تخلفنا التي تصبح موضوع السخرية في بعض المجالات^(٢)، إنها

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٢٥١.

(٢) السابق. ص ٢٧٣.

تفصيلات تدعو القارئ إلى المشاركة في المشهد، (نتهي - تصبح - توضع - تشتريها - تذهب - تغادر أذكر)، هذه الأفعال المضارعة تختصر الزمن، وتستحضر تلك السرعة في إعادة المكان إلى جماله وأناقته، وكل ذلك ينعكس على سلوك الكاتب وحياته، وهو يحمل النقد المبطن لمظاهر التخلف وهدر الجمال، ومن هنا تكمن الطاقة الحجاجية لهذا الحضور والسرد المتزامن.

٣ - الاستغراق الزمني : إن الوقائع التي تحدث في المذكرات تجسد كما هائلا، لا يمكن للكاتب الإحاطة بها، فلا بد أن يكون هناك تحكم في الزمن من خلال الحكاية المسرودة "فإذا كان من السهل أن نقارن النظام الزمني لقصة ما مع النظام الزمني الذي تبناه الراوي لكي يحكي تلك القصة، فإن الأمر يصبح أكثر صعوبة إذا تعلق بمقارنة جادة نريد أن نقيمها بين زمن القصة وزمن السرد"^(١)، ومن هنا يلجأ الراوي، أو كاتب المذكرات إلى استراتيجيات الاستغراق الزمني : الخلاصة - الاستراحة - القطع^(٢)؛ ليكي يتغلب على تفاقم الحكاية والزمن، فنجد الزمن يطوى من خلال الخلاصة أو التلخيص " لقد بدت لنا قسنطينة أجمل وأبهى في ذلك المساء؛ وحول طاولة مصنوعة من الرخام فوق هيكل حديدي جلسنا، وكان العشاء تسوده الصداقة الحميمة"^(٣). " وكنت ذلك المساء مسرورا خاصة فقد تبددت مخاوفي من البنطال ولبسه بسرور أمني... وشقيقتاي اللتان أصبحتا الآن متزوجتين وجهتا نظرات تنم عن الرضى، أما

(١) بنية النص السردى. ص ٧٦.

(٢) ينظر السابق. الصفحة نفسها.

(٣) مذكرات شاهد للقرن. ص ٦٠.

جدتي فقد تلقت مني قبلة على جبينها، ثم خفضت رأسها ترقب حبات سبحة كانت في يدها.

أما والدي فقد كنت أعرف أنه يتبنى كما هي العادة آراء أمي لقد تحسنت صحتها دون أن يكتب لها الشفاء التام . وكان الحديث تلك الليلة طلياً والمائدة شيقة"^(١).

" فوجئت نبأ سفر والديّ بوصفه فرصة ثمينة ضاعت علي، ولم يبق لدي إلا الرجوع لله في الأمر، وانتظار اليوم السعيد الذي أراهما فيه بعد عودتهما من الحج، وعودتي من فرنسا لأستمع منهما إلى أخبار الحجاز"^(٢). إن الكاتب يختصر الأحداث ويطوي الزمن، ليبدو مضغوطاً أمام القارئ، وفي ذلك تكثيف للحدث، وتلاعب بالزمن، كما أنه يمثل " نوعاً من استقصاء بيان الشيء والاقتصار على ما يحتاج إليه"^(٣)، ومن هنا تكمن الطاقة الحجاجية في إبراز جانب من الحدث وتبنيه^(٤)؛ ففي المقطع الأول نجد بروز : المدينة والطاولة والعشاء، وكل واحدة من هذه تمثل كما هائلاً من الأحداث التي عايشها كاتب المذكرات، فهو أرادها إطاراً، وفضاء روائياً تتعاقب فيه الأحداث والزمن .

(١) السابق. ص ٩٨.

(٢) السابق. ص ٢٨٢. وينظر: ص. ٣٣٢ - ٣٤١ - ٣٦٠ - ٣٨٥.

(٣) معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر. ص ١٥.

(٤) " هو انتقاء للمعلومة السردية أداته بؤرة واقعة في مكان ما، هي ضرب من المصفاة لا يسمح بمرور

المعلومة التي يخولها المقام" ينظر: معجم السرديات. ص. ٦١.

أما في المقطع الثاني فإبراز الذات وما تحمله من صفات أو مشاعر هو المقصد الأول: ذات الكاتب - ذات الأم - ذات الجدة - ذات الأخوات - ذات الأب، فنحن أمام عالم الإنسان مختصراً في مجموعة من الكلمات. وفي المقطع الثالث نجد إبراز حدثين لهما تأثير كبير في المذكرات وهما: حدث الحج، وحدث الرجوع من فرنسا؛ فالخلاصة التي تمثل الاستغراق الزمني هنا تنقل القارئ إلى عالم آخر من خلال البحث عن التفصيلات في أعطاف المذكرات أما استراتيجية الاستراحة Pause والتي تعني "توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف" (١) فكثيرة في هذه المذكرات؛ فمدرسة الكاتب التي تلقى فيها التعليم فيها طلاب "مجدون لا يهمهم غير دروسهم، هؤلاء عدول المستقبل، أو أي شيء آخر، يلمحون من بعيد وظيفتهم في الإدارة، وكان كذلك الحاملون بينون قصورا في إسبانيا، وآخرون يهتمون بقص شعورهم على آخر طراز" (٢)، والعمل في إحدى دوائر المحاكم يتطلب نوعاً من الوقوف الزمني والوصف؛ فالجودي الذي أضافهم "بيادر بصفة عامة ليرتب طعامنا ثم يخف لملاقاتنا في ظاهر الدوار، وقد فرش أجمل بساط لديه أمام منزله أو أمام كوخه. وكنا نترك الجلوس عليه عادة ليجلس سي الجودي، أما كل واحد منا فكان يتمدد حيث يحلو له المكان. وإذا ما كان الربيع فإن الطبيعة تقدم بساطها الذي ينشر عطره الحميل في الفضاء، فيختلط برائحة خشب الصنوبر الذي

(١) بنية النص السردي. ص ٧٦.

(٢) مذكرات شاهد للقرن. ص ٨٦.

يتقد تحت قدور طعامنا"^(١)، ويتخذ الوصف دقة أكثر في هذا التوقف " وفي تلك الحظة عثر حمودة أو أخوه صالح لا أدري على عنوان (أوجين يونغ) وزاره في غرفة قليلة الأثاث، لا يدخلها ضوء النهار إلا من نافذة صغيرة تحت أحد سطوح باريس، ولا تنورها ليلا الكهرباء، وأصبح الرجل النبيل الذي علم جيلي الكثير عن وضع العالم الإسلامي في الحقبة الاستعمارية أصبح عجوزا مريضاً ستنطفئ حياته في عزلة هذه الغرفة، كما تنطفئ فيها الشمعة التي تضيئها ليلا، بينما كان تباير بعض الطلبة من العرب والمسلمين في الحي اللاتيني كافيا لحياة هذا المريض في لحظاته الأخيرة"^(٢)، إن الوصف إضافة إلى توقف الزمن من خلاله ليلتقط القارئ أنفاسه قبل إكمال رحلة المذكرات، يؤدي دورا حجاجياً في الخطاب فله " دور في توجيه الملفوظ وإثباته، وجعله مما يحمل على أنه واقع لا محالة"^(٣)؛ فيحمل قوة تأثيرية تتجاوب معها مشاعر المتلقي وحواسه من خلال الوصف الدقيق ومتابعة التفصيلات .

ويستغل الكاتب قطع السرد الزمني، حيث يتم تجاوز بعض المراحل من المذكرات دون الإشارة بشيء إليها^(٤)؛ فالكاتب يتغير شكله في إشارة إلى مرور الزمن " فاجأت عودتي لقسنطينة الجميع كما فوجئت أنا؛ فقد نما جسدي كثيراً

(١) السابق. ص ١٦٥.

(٢) السابق. ص ٣٣١. ولمزيد من أمثلة الوصف انظر: ص ١٧٥، ٢٠١٠، ٢٦٧، ٣١٤، ٤٢١، ٣٨٣.

(٣) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. د: عبد الله صولة. دار الفارابي. بيروت - لبنان. ط. الثانية ٢٠٠٧. ص ٣٢٣.

(٤) ينظر: بنية النص السردية. ص ٧٧.

خلال العطلة، فأصبح جسد رجل على الرغم من أن الكتفين بقيا على شيء من الضيق"^(١)، فنحن أمام قطع ضمني ليس مباشراً، بل يدركه القارئ، وهو محرك لتصوره عن الشخصية، ومحاولة متابعة نموها، وتغيرها، "وفي أيام الامتحانات هذه كانت تصدر عني حركات وتصرفات أذكر أنني قمت بها في امتحانات السنوات السابق"^(٢)، هنا اختصار لسنوات من العمر من خلال ذكر هذه الحركات، وهي استراتيجية في الخطاب السردي المعاصر؛ لأنه كما يقول حميد حميداني: "يسمح بإلغاء التفاصيل الجزئية"^(٣)، التي لا تستفيد منها الحكاية، وهذا الإلغاء يمثل قيمة حجاجية؛ فهو يوحي إلى القارئ بأنه مدرك لما تم تجاوزه والسكوت عنه، وموافق للكاتب عليه^(٤)، كأن يكون ذلك اعترافاً من الكاتب بخطئه، "وبدأت السنة الدراسية تأخذ منعطفها الأخير، دون أن أبذل في دروسي العشر من الوقت الذي بذلته لاستماع (الطوريس)، وقصائد إخواننا الشعراء السوريين"^(٥)، أو إشعاراً بالزمن الشعوري الذي يمر سريعاً، "دامت هذه الفترة السعيدة واحداً وعشرين يوماً، فأرادت والدتي أن تزيد بعض الأيام في الاستجمام، وفكرت أنا بالرحيل، وذات صبيحة ودعت والدي،

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٨٣.

(٢) السابق. ص ١١٦. ولمزيد من ذلك. انظر: ص ٣٠٤، ٣١٩، ٣٨٧، ٤٠٥. وغيرها.

(٣) بنية النص السردي. ص ٧٧.

(٤) ينظر: اللسان والميزان. ص ١٥٠.

(٥) - مذكرات شاهد للقرن. ص ٢٥٣.

وسكبت والدي بين قدمي (ماء العودة)^(١)، هكذا يتلاعب الكاتب بالزمن
جاذبا إليه المتلقي لمتابعة الرحلة في مذكراته، مستخدما آليات السرد الحجاجية.

(١) - السابق. ص ٢٦٥.

الخاتمة:

تناول هذا البحث السرد في مذكرات شاهد للقرن، وقاربها حجاجيًا من خلال آليات السرد الحجاجية: الأحداث والأقوال والزمن السردية، وتوصل إلى النتائج البحثية التالية:

- أهمية الفن السردية القائم على ثنائية الحكاية والخطاب، حيث يتم حجاجيًا استغلال هذا التنوع في الخطاب السردية للتأثير والإقناع.
- تتخذ المذكرات المدروسة اتجاهًا حجاجيًا منذ عتبات النص الأولى: العنوان مما كان له الأثر البين والواضح في جذب القارئ، ومحاولة التأثير عليه من خلال التساؤلات التي تثيرها المذكرات في كل زاوية من زواياها.
- بنيت المذكرات على نظام خطابي عام قائم على نوع من الثنائية، التي أوجدت الاتساق والديناميكية في تصاعد الأحداث وتطورها.
- غلب ثنائية الحدث على هذه المذكرات، وكان صوت الحوار خافتا فيها، مما أوجد نوعًا من سيطرة الراوي على المذكرات وتوجيهها وجهة معينة.
- تلاعب الكاتب بزمن السرد ونوع فيه، وكان لذلك الأثر الواضح في منح المذكرات قيمة حجاجية واضحة.
- تعانقت المذكرات مع فضاءات مذكرات ونصوص سردية روائية أخرى، مما يجعلها تقدم نوعًا من التناص الأدبي، الذي منحها قيمة أدبية حجاجية.
- قدم البحث رؤية واضحة عن الراوي، الذي حاول الاختفاء منذ البداية، وكان صورته واضحة المعالم، من التفكير والسلوك.
- وضحت الدراسة أهمية السرد ودوره حجاجيًا.

المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

١ - مذكرات شاهد للقرن. مالك بن نبي. دار الفكر . دمشق . البرامكة . ط. الثانية (٢٠٠٤م)

ثانيا المراجع:

الكتب:

- ٢ - استراتيجيات الخطاب. مقارنة لغوية تداولية. د: عبد الهادي بن ظافر الشهري. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع . عمان - الأردن. ط. الثانية ٢٠١٥ م.
- ٣ - أساطين الفكر عشرون فيلسوفا صنعوا القرن العشرين. روجيه - بول دروا. ترجمة: علي نجيب إبراهيم. دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان. ٢٠١٢.
- ٤ - الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- ٥ - الأيام. طه حسين. مركز الأهرام للترجمة والنشر. ط. الثانية . ٢٠٠٤ م.
- ٦ - الباتوس : من الخطابة إلى تحليل الخطاب . من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف . د: حاتم عبيد . ضمن : كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته .
- ٧ - البعد الحجاجي في أفصوصة " القلعة " لجمال الغيطاني .د: محمد نجيب العمامي . ضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته. إشراف .د: حافظ أسماعيل علوي .عالم الكتب الحديث . إربد - الأردن . ط .الأولى ٢٠١٠ م.
- ٨ - البلاغة والخطاب . إعداد وتنسيق .د: محمد مشبال . منشورات الاختلاف . الجزائر . ط. الأولى ٢٠١٤ .
- ٩ - البلاغة والسرد . جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ. د: محمد مشبال . منشورات كلية الآداب - جامعة عبد الملك السعدي - تطران - المغرب ٢٠١٠م.
- ١٠ - بناء الرواية . د: سيزا قاسم . مكتبة الأسرة . مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤ م.
- ١١ - بنية النص السردي .حميد حميداني . المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع . الدار البيضاء - المغرب . ط. الأولى ١٩٩١ م.

- ١٢ - تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق . د: محمد القاضي . مسكيلباني للنشر والتوزيع . تونس . ط. الثانية ٢٠٠٣ م.
- ١٣ - التداولية من أوستن إلى غوفمان . فيليب بلانشيه . ترجمة : صابر الحباشة . دار الحوار للنشر والتوزيع . سورية - اللاذقية . ط . الأولى . ٢٠٠٦ م.
- ١٤ - التداوليات وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي . مكتبة المثقف . ط الأولى ٢٠٠٥ م.
- ١٥ - التداولية والحجاج مداخل ونصوص . صابر حباشة . صفحات للدراسات والنشر . سورية - دمشق . ط الأولى ٢٠٠٨ م.
- ١٦ - تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي . د: يعنى العيد . دار الفارابي . بيروت - لبنان . ط . الثانية ٢٠١٠ م.
- ١٧ - جذور الرومانتيكية . إيزايا برلين . نقله إلى العربية سعود السويدا . جداول . الكويت . ط . الأولى ٢٠١٢ م.
- ١٨ - الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية . د: عبد الله صولة . دار الفارابي . بيروت - لبنان . ط . الثانية ٢٠٠٧ م.
- ١٩ - الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة. د: أمينة دهري . شركة المدارس للنشر والتوزيع - الدار البيضاء - المغرب . ط. الأولى ٢٠١١ م .
- ٢٠ - الحجائيات اللسانية . رشيد الراضي . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء - المغرب . ط. الأولى ٢٠١٤ م.
- ٢١ - الخطاب والسلطة. توين فان دايك . ترجمة . غيداء العلي . المركز القومي للترجمة . القاهرة . ط. الأولى ٢٠١٤ م.
- ٢٢ - دليل الناقد الأدبي. د . ميجان الرويلي . د. سعد البازعي . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء - المغرب . ط. الخامسة ٢٠٠٧ م.
- ٢٣ - دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي . د: حسن المودن . ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته .
- ٢٤ - رواية للطبيب صالح . دار العودة - بيروت . ط الرابعة عشرة ١٩٨٧ م.

- ٢٥ - زمن الرواية . جابر عصفور . دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق - سوريا . ط .
الأولى ١٩٩٩ م .
- ٢٦ - السيرة والهوية . دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة . جينز بروكبير . دونالد
كربو . ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم . المركز القومي للترجمة - القاهرة . ط .
الأولى ٢٠١٥ م .
- ٢٧ - العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي . د: وحمد فكري الجزائر . الهيئة المصرية العامة
للكتاب ١٩٩٨ م .
- ٢٨ - فخاخ المفارقة والنموذج السقراطي . عبد الرحمن حبيب . ضمنة كتاب : أوراق
فلسفية . مجموعة باحثين . تقديم .أ. د: سعد البازعي المركز الثقافي العربي .الدار
البيضاء - المغرب . ط . الأولى ٢٠١٢ م .
- ٢٩ - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . طه عبد الرحمن . المركز الثقافي العربي .
الدار البيضاء - المغرب . ط . الخامسة . ٢٠١٤ م .
- ٣٠ - في نظرية الحجاج . دراسات وتطبيقات . أ. د: عبد الله صولة . مسكيلياي للنشر
والتوزيع - تونس . ط . الأولى ٢٠١١ م .
- ٣١ - قال الراوي . البنيات الحكائية في السيرة الشعبية . سعيد يقطين . المركز الثقافي
العربي .الدار البيضاء - المغرب . ط . الأولى ١٩٩٧ م .
- ٣٢ - لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي . المركز الثقافي العربي
- الدار البيضاء . ط . الأولى ١٩٩١ م
- ٣٣ - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي . طه عبد الرحمن .المركز الثقافي العربي . الدار
البيضاء - المغرب . ط . الثالثة . ٢٠١٢ م .
- ٣٤ - اللغة والمنطق والحجاج . ميشيل مايير . تقديم وترجمه : محمد أسيداه . ضمن كتاب
: الحجاج مفهومه ومجالاته .
- ٣٥ - مغني اللبيب عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد،
جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ) تحقيق د. مازن المبارك - محمد علي حمد الله
دار الفكر - دمشق . الطبعة: السادسة، ١٩٨٥ م .

- ٣٦ - معجم السرديات . إشراف : محمد القاضي . تأليف . محمد القاضي وآخرون . دار الفارابي - لبنان . ط . الأولى ٢٠١٠ م .
- ٣٧ - معجم مصطلحات النقد الأدب المعاصر . فرنسي - عربي .. سعيد علوش . د . كيان أحمد حازم يحيى . د . حسن الطالب . دار الكتاب الجديد المتحدة . بيروت - لبنان . ط الأولى ٢٠١٩ م .
- ٣٨ - نظرية الحجاج . تطبيق على نثر ابن زيدون . عزيز لدية . عالم الكتب الحديث . إربد - الأردن . ط . الأولى ٢٠١٥ م .

الرسائل الجامعية:

- ٣٩ - الخطاب النقدي عند رولان بارت الكتابة والقراءة . رسالة ماجستير . للطالبة: زهيرة شنيبي . كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية قسم: اللغة العربية وآدابها- جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي - الجزائر . السنة الجامعية: ٢٠١١/٢٠١٢ م .
- ٤٠ - زمن السرد في روايات فضيلة الفروق . أسماء دربال . رسالة ماجستير . جامعة الحجاج لخضر - بانه - كلية الآداب واللغات . قسم اللغة العربية . العام الجامعي ٢٠١٣-٢٠١٤ .
- ٤١ - السيرة الذاتية بين الواقع والتمثيل في رواية "المنوعة" ل: "مليكة مقدم" ترجمة محمد ساري. رسالة ماجستير . -طالب جميلة - كرماني كهينة . جامعة البويرة . قسم اللغة والأدب العربي. عام ٢٠١٤ - ٢٠١٥ م .

المجلات والدوريات:

- ٤٢ - تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب . محمد العبد . مجلة فصول . العدد ٦٥ , خريف ٢٠٠٤ - شتاء ٢٠٠٥ م .
- ٤٣ - تقديم الشخصية في رواية مذكرات دي: دراسة في الخطاب السردية . د. عهود ثعبان يوسف . مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث . المجلد الثاني . العدد السابع .
- ٤٤ - السرد والحجاج القراءات المتصارعة التنوع والمصدقية في التأويل . د: محمد عبده البشير مسالتي. حوليات جامعة قلمة للغات والآداب . العدد ١٠ . جوان ٢٠١٥ م .

- ٤٥- كتابة المذكرات. السيرة وأدب السيرة الذاتية . جريدة الشرق الأوسط . علاء
المفرجي . الاثنين - ١٥ جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ - ١٠ فبراير ٢٠٢٠ مرقم العدد
[١٥٠٤٩]
- ٤٦ - المفارقة . بنيلة إبراهيم . مجلة فصول . المجلد السابع . العدد ٣ - ٤ إبريل -
سبتمبر ١٩٨٧ م.
- ٤٧ - نظرية الانسجام عند فان ديك . جمعي فاطمة الزهراء . مجلة الحكمة للدراسات
الأدبية واللغوية . (٢٠١٧) العدد ١٠ مجلد ٥ .

Sources and references:

First: Sources:

- 1- Witness notes for the century. Malik bin Nabi. House of thought. Damascus Baramkeh. i. The second (2004 AD)

Second references:

Books:

- 2- Discourse Strategies. Pragmatic linguistic approach. Dr: Abd al-Hadi bin Dhafer al-Shehri. Dar treasures knowledge for publication and distribution. Ammaan Jordan . i. The second 2015 AD.
- 3- The masters of thought, twenty philosophers who made the twentieth century. Roger - Paul Duroit. Translated by: Ali Najeeb Ibrahim. Arab Book House. Beirut - Lebanon 2012.
- 4- Al-Alam, Khair al-Din bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Faris al-Zarkali al-Dimashqi (deceased: 1396 AH, Dar al-Ilm Li'l Millions, Edition: fifteenth - May / May 2002 AD.
- 5- The days. Taha Hussien . Al-Ahram Center for translation and publishing. i. the second . 2004.
- 6- Albatos: From rhetoric to discourse analysis. From invoking emotions to invoking emotions. Dr: Hatem Obaid. Within: The book of pilgrims, understood by M. and its domains. M.
- 7- The argumentative dimension in the story "The Citadel" by Jamal Al-Ghitani. Dr.: Muhammad Najeeb Al-Amami. Within the book: Al-Hajjaj, its concept and fields. Supervised by: Dr. Hafez Ismail Alawi, The World of Modern Books. Irbid - Jordan. i. First 2010 AD.
- 8- Rhetoric and Discourse. Prepared and coordinated by Dr.: Muhammad Meshbal, Al-Ikhtif Publications. Algeria . i. First 2014
- 9- Rhetoric and Narration. The controversy of photography and pilgrims in the news of Al-Jahiz, Dr. Muhammad Meshbal. Publications of the Faculty of Arts - Abdul Malik Al-Saadi University - Tarran - Morocco 2010.
- 10- The construction of the novel by Dr. Siza Kassem. Family library. Reading for All Festival 2004 AD.
- 11- The structure of the narrative text, Hamid al-Humaidani. Arab Cultural Center for printing, publishing and distribution. Casablanca - Morocco. i. The first in 1991 AD
- 12- Analysis of the narrative text between theory and practice, Dr.: Muhammad Al-Qadi. Maskiliani for publication and distribution. Tunisia. Z. The second 2003 AD.
- 13- Pragmatics from Austin to Goffman, Philip Blanchet. Translated by: Saber Al-Habasha. Dar Al-Hiwar for publication and distribution. Syria - Latakia. i. The first. 2006 AD.
- 14- Pragmatics and Discourse analysis, Dr. Jamil Hamdawi. Intellectual Library. First edition 2005 AD.
- 15- Pragmatics and Argumentation approaches and texts. Saber Habasha. Pages for studies and publishing. Syria - Damascus, first edition, 2008.

- 16- Narrative narration techniques in the light of the structural approach. Dr. Youmna Eid. Al-Farabi House. Beirut, Lebanon. i. The second 2010 AD.
- 17- Roots of Romanticism. Isaiah Berlin. Translated into Arabic by Saud Suwayda, Kuwait tables. i. The first is 2012 AD.
- 18- Al-Hajjaj in the Qur'an through its most important stylistic characteristics. Dr: Abdullah Salah. Al-Farabi House. Beirut, Lebanon. i. The second 2007 AD.
- 19- Al-Hajjaj and Building the Discourse in the Light of the New Rhetoric, Dr. Amina Dahri. Schools Publishing and Distribution Company - Casablanca - Morocco. i. First 2011 AD.
- 20- Linguistic Arguments. Rashid Radi. Arab Cultural Center. Casablanca - Morocco i. The first is 2014 AD.
- 21- Discourse and Power. Twain Van Dyke. Translated by Ghaida Al-Ali. The National Center for Translation, Cairo. i. The first is 2014 AD.
- 22- Literary Critic's Guide. Dr. Megan Al-Ruwaili. Dr. Saad Al-Bazai. Arab Cultural Center. Casablanca - Morocco. Z. Fifth, 2007 AD.
- 23- The role of the addressee in the production of argumentative discourse. D: Hassan Al-Mouden. Within the book: Hajj, its concept and fields
- 24- A novel by Tayeb Salih. Dar Al-Awda - Beirut. The Fourteenth Edition, 1987 AD.
- 25- The time of the novel. Jaber Asfour, Dar Al-Mada for Culture and Publishing, Damascus - Syria. The first 1999 AD.
- 26- Biography and identity. Studies in biography, self and culture. Broker jeans. Donal Karbo. Translated by: Abdel Maqsood Abdel Karim. The National Center for Translation - Cairo. First 2015 AD.
- 27- Title and Semiotics of Literary Communication. Dr. and Hamad Fikry Al-Jazzar, the Egyptian General Book Authority, 1998 AD.
- 28- Traps for the paradox and the Socratic model. Abdul Rahman Habib. Book included: Philosophical Papers. A group of researchers. Presentation Dr.: Saad Al-Bazai, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco. i. The first is 2012 AD.
- 29- On the origins of dialogue and defining the science of speech, Taha Abdel Rahman, Arab Cultural Center, Casablanca - Morocco, p. Fifth. 2014.
- 30- In the theory of pilgrims, studies and applications. Prof. Dr.: Abdallah Soula, Maskiliani for Publishing and Distribution - Tunisia. i. First 2011.
- 31- The narrator said, the anecdotal structures in the popular biography. Said Yaktin, Arab Cultural Center, Casablanca - Morocco. i. The first 1997 AD.
- 32- Text Linguistics: An Introduction to Discourse Harmony, Mohamed Khattabi, Arab Cultural Center, Casablanca, p. The first in 1991 AD.
- 33- Tongue and Balance, or Mental Propagation, Taha Abdel Rahman, Arab Cultural Center. Casablanca - Morocco. i. Third, 2012 AD.
- 34- Language, Logic and Argumentation, Michel Meyer, presented and translated by: Muhammad Asidah, within the book: Al-Hajjaj, its concept and fields.
- 35- Mughni al-Habib Abdullah bin Yusuf bin Ahmad bin Abdullah bin Yusuf, Abu Muhammad, Jamal al-Din Ibn Hisham (T) (761 AH) investigated by Dr. Mazen Mubarak Muhammad Ali Hamdallah. Dar Al-Fikr - Damascus Sixth Edition, 1985

- 36- The Dictionary of Narratives, supervised by: Muhammad Al-Qadi. composing. Muhammad Al-Qadi and others. Al-Farabi House - Lebanon. i. The first is 2010 AD.
- 37- Glossary of Contemporary Literature Criticism Terms. French - Arab Said Alloush, d. Kayan Ahmed Hazem Yahya. Dr. Good student. Book House - New United. Beirut - Lebanon, first class, 2019.
- 38- Theory of arguments. An application to the prose of Ibn Zaydun Aziz to the world of modern books. Irbid - Jordan I. First 2015.

University theses:

University theses:

- 39 - The critical discourse of Roland Barthes, writing and reading. Master Thesis. Student Zouhaira Shenini. Faculty of Arts, Languages, Social Sciences and Humanities, Department of Arabic Language and Literature - Larbi Ben M'hidi University Oum El Bouaghi - Algeria. Academic year: 2011/2012.
- 40 - The time of narration in the novels of the virtue of distinctions. Darbal names. Master's thesis, Hajj Lakhdar University - Banta - Faculty of Arts and Languages. the department of Arabic language. Academic year 2013-2014.
- 41 - The biography between reality and the imagined in the novel "The Forbidden" by: "Malika "Moghaddam" Translated by Muhammad Sari. Master's thesis student Jamila - Kermani Kahina. University of Bouira. Department of Arabic Language and Literature in 2014-2015 AD.

Journals and periodicals:

- 42 - Modifying the Achievement Power, A Study in the Pragmatic Analysis of Discourse, Muhammad Al-Abd, Mahalla Fosoul. Issue 65, Fall 2004 - Winter 2005.
- 43 - Introducing the Personality in the Novel Diary of Dee: A Study in Narrative Discourse d. Oaths snake Joseph. Ibn Khaldun Journal for Studies and Research. Volume II. Seventh issue
- 44 - Narrative and Argumentation conflicting readings diversity and credibility in interpretation. Dr. Mohamed Abdo Al-Bashir Masalati Annals of Guelma University of Languages and Literature. Issue 10. June 2015 AD.
- 45- Writing biographical notes and autobiographical literature. Middle East newspaper. Alaa Al-Mafaraji. Monday - 15 Jumada II 1441 AH - February 10, 2020 AD Issue number [15049]
- 46 - The Paradox. Benila Ibrahim. Seasons Magazine. Volume VII. Issue No. 3 - 4, April - September 1987.
- 47 - van Dijk' Cohesion Theory. Jamey Fatima Zahra. Al-Hikma Journal for Literary and Linguistic Studies. (2017) Issue 10, Volume 5.